# إحياء لُغَة الإسلام العَالميَّة

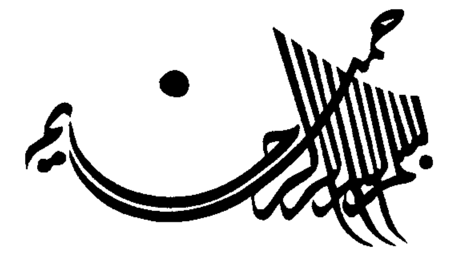
## وتَجدِيدَها من خِلال
## تَأصِيل البَدائل و تَحدِيث الوَسَائل

*تحديد واعٍ للمُنطَلَقات الفكريَّة المُنظَّمة والمفصّلة عَلاقة الأطروحَات المستجدّة بإعادة تَرتيب وعي الأمّة على منهج الأبوّة الشرعي القائم على الوسطيّة الشرعيّة والاعتدال من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ ولا صراعٍ ولا تسييسٍ*


بقلم خادم السلف

**أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور**

عفَا الله عنه



١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م

❖ **الكتاب :** إحياء لغة الإسلام العالمية

❖ **الكاتب :** المفكر والداعية الإسلامي

**أبي بكر العدني بن علي المشهور**

www.goraba.net

❖ **الطبعة الثانية .**

❖ **الناشر والتوزيع والتجهيز الفني :**

- أربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية

الجمهورية اليمنية

- منتدى الروضة الفكري

إحـــــيَاء
لُغَة الإِسْلَام العَـــالَمِـــيَّة

## السيرة الذاتية للمؤلف:

- هو الشيخ العلامة أبوبكر العدني بن علي بن أبي بكر بن علـــوي المشهور .

- ولد بمدينة أحور عام١٣٦٦هـــوتربى وتعلم منذ صغره على يــد أبيه مفتي مدينة أحور وعالمها الداعي علي بن أبي بكر المشهور .

- تلقى العلوم على المشائخ في أحور وعدن وارتحل مــع أبيــه الى حضرموت لطلب العلم .

- درس المرحلة الثانوية والجامعية إنتسابا ثم إلتحق في سلك التربيــة والتعليم .

- اضطرته الظروف أبان الحكم الشيوعي في جنوب اليمن الى السفر للحجاز وهناك تلقى العلم الشرعي على عدد من مــشائخ الحجــاز والشام ومصر وفي مقدمتهم المربي الفاضل العلامة عبدالقادر بن أحمد السقاف .

- أسس ١٨رباطا علميا و٨٦مركزا تعليميا في أنحــاء الجمهوريــة اليمنية بُعيد ظهور مرحلة الوحدة المباركة .

- أقام عشرات الدورات الصيفية لطلاب وطالبات المدارس .

- أسَّس دار الزهراء لتعليم المرأة وأقام عدة فــروع لهــا في أنحــاء المحافظات .

-أسس مدرسة الفتيان لتحفيظ القرآن الكريم .

- أسَّس مركز الإبداع للدراسات وخدمة التراث وأهم ما يؤديه المركز الإشراف على الحلقات العلمية التي تصحح طرفي الإفراط والتفريط بين مدارس الإسلام في الواقع المعاصر وخصوصا في العلاقات الروحية .

- أسَّس المنتديات الثقافية الاجتماعية ومنها منتديات وادي حضرموت التي تسهم في إثراء الجانب الثقافي من خلال الحلقات العلمية والندوات في مختلف المجالات ، وفي الجانب الإجتماعي من خلال النزول الميداني طبيا ودعويا ورياضيا الى المناطق .

## من أطروحاته الفكرية المتميزة :

- وضع فكرة تقسيم المسيرة الإنسانية الى قسمين المدرسة الأبوية وروادها الأنبياء والعلماء والصالحون، والمدرسة الأنوية ورائدها الشيطان وأعوانه من الدجاجلة والكفار .

- أعاد لحمة ركنية (العلم بعلامات الساعة) كركن رابع الى أركان الدين كما هو مقرر في حديث جبريل .

- أضاف( سنة المواقف) كإضافة محمودة تضاف الى سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم القولية والفعلية والتقريرية .

-كشف برؤية تحليلية الأُسس والمقومات التي قامت عليها مدرسة حضرموت في تاريخها المتتالي بدءا بموقف المهاجر أحمد بن عيسى في

جمع أشتات الأمة على قواسم الإسلام المشتركة ومـــرورا بمواقـــف الفقيه المقدم في كسر السيف كدلالة على التعايش السلمي .

- دعا الى الجمع بين العلم الأبوي المسند والعلم الحديث الأكـــاديمي من خلال ما أسماه بالمثلث المدموج مع الإكتفاء الذاتي.

- دعا الى تصحيح الانحرافات الفكرية من خلال المفاهيم المصحَّحة التالية:(العقل السليم في القلب السليم) (الغايـــة تقـــرر الوســـيلة) (والإنسان قبل البنيان والمعلم قبل المنهج والتربية قبل التعليم) .





## المطلع القرآني :

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٩) وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٤٠) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) ﴾

[يونس: ٣٧ – ٤١ ].



# شاهد الحال ..

(عن حارث الأعور) مررتُ بالمسجد فإذا النّاس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليّ (كرم الله وجهه ) فأخبرته، فقال: أوقد فعلوها؟ قلتُ: نعم، قال: أما أني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة. قلتُ: فما المخرج منها يارسول الله؟! قال: « **كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصّراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبسّ إليه الألسنة، ولاتشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنتهِ الجن أن سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾، من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم** ».

( رواه الترمذي - مجمع الفوائد ص١٦٣ )



# الإهـداء..

- إلى الحَائرين بين المفاهيم الجامدة والحياة المتحركة الواعدة.
- إلى شباب المرحلة وأحزابها وجماعاتها المتكتلة الراغبين في معالجة انحراف المرحلة والقائمين على تحديث الوسائل وتأصيل البدائل .
- إلى المجاهدين في سبيل الله « **بالكلمة الطيبة** » في مرحلة السلطان الجائر تمهيداً للوعد المأمول..

واستجابة لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:

« **أَفضَلُ الجِهَادِ كَلمَةُ حَقٍّ عِندَ سُلْطَانٍ جَائر** »

أخرجه أبو داود (٥/٥٩) والترمذي (٣/٣١٨) وابن ماجه (٢/١٣٢٩).

**المؤلف**

## المقدمة..

الحمد لله الذي جمع في الأصلين الشريفين أسس الضوابط العلمية والعملية لشؤون الإنسان في الحياة.. وما بعد الحياة، والصَّلاة والسلام على النبيّ المبعوث بالتفاؤل والبناء وتصحيح ما أفسدته الأزمنة والمراحل، في كل منحى واتجاه، وعلى آله الأكابر وصحابته المفاخر، وعلى التابعين لهم بإحسان في فَهِم مدلولات علم الباطن والظاهر، وعلى كلّ من تبعهم من هذه الأمة بإحسان إلى يوم الدِّين.

(وبعد)..

فإنّ مستجدات الحركة الإنسانية بعمومها تشير إلى اندفاع العالم طوعاً أو كرهاً نحو ما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بمسيرة الأمة نحو جحر الضَبّ في حديثه القائل: « **لتتبعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قبلكم شِبراً بشِبرٍ وذِرَاعاً بذراعٍ حتَى لَو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخلتُمُوهُ**.. قالوا يا رسول الله: (اليهود والنصارى؟)، قال: **فمن!** »[1]..

والمسيرة المشار إليها قد انتقلت في عصرنا إلى قوالب جاهزة المسارات والمساقات كُتب عليها من الخارج لوحة عريضة خلف سهم موجّه (الاتجاه الإجباري ) بحيث لا يستطيع أي سائر في هذه المسارات إلاّ أن ينطلق وفق إشارات الطريق بلا منفذ ولا منعرج آخر..

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣/٦ فتح ) ومسلم (٤٦٢/٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

وهذا الاتجاه الإجباري الذي تسير فيه الأمة.. إنما جاء بفعل تـــدبيرات إنسانية واعية عرفت كيف تجمع خيوط المراحل وأبعاد المنطلقات، وتوجهها توجيهاً يضيق المساحات المتباعدة، ويدمج المسار في المسار حتى صَارَ مـــن الضرورة بمكان أن يحتشد الركب بوسائله ومسائله في المسار الأخير المؤدي حتماً إلى جُحْرِ الضَبّ، وجحر الضب من وجهة نظر الإســلام ( منـــهج المسيخ الدّجال ). أمّا من وجهة نظر العباقرة الإنسانيين والمفكرين والمثقفين ( فالعالم الإنساني الحُر ).

ونجزم يقيناً أن هذا الاتجاه قد بدأ العمل لأجله منذ زمن محدد الهوية والمعالم، وينقسم إلى قسمين:

**القسم الأول:** ما أشار إليه نبي الأمة من بداية الخليقة ووضع الإنسان لنفسه ومستقبله أوليات الانحرافات والتحولات.. « **مَا من فِتْنَةٍ من عَهدِ آدم إلاّ وهي تَضعُ أو تَصنَعُ لِفتنةِ الدَّجال** »[1].

**القسم الثاني:** بروز علامات الساعة في أول مراحل البعثة والرســالة المحمّدية.. في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: « **بعثـــتُ أنـــا والـــسَاعة كَهَاتَين**»[1].

---

(١) قال الإمام أحمد في مسنده (٣٨٩/٥) ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، قال : سمعت الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة، قال: ذُكر الدجال عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ((لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا.. صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال))، قال الحافظ نور الدين الهيثمي في المجمع (٣٣٨/٧) رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

فالمسيرة الدّجالية العالميّة.. جاءت مرافقة لبروز الرسالة النورانية الخاتمة، وكانت على عهد صاحب الرسالة اختباراً صعباً وامتحاناً عسيراً لمنهجية الدعوة الجديدة وابتلاء لأتباعها..

وتمتاز مرحلة صاحب الرسالة كونها مرحلة تحوّل وانطلاق لأكثر من فكرة ورؤية[٢].. ولكنّ الشمس الساطعة منها هي شمس الدعوة الشرعية دعوة الإسلام المتنامية بدءاً بالبعثة وتماماً بانقطاع الوحي وموت الرسول صلى الله عليه وسلم.. وفيها يقول صلى الله عليه وسلم عن العلامات.. « **اعدد ستاً بين يدي الساعة... موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ منكم كمقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٢/١١) ومسلم في صحيحه (٥٨١/٢) والترمذي (٣٨١/٦تحفة) وأحمد في مسنده (١٢٤/٣) .

(٢) برز مع فجر الدعوة مظاهر وأوليات من أمر القضاء والقدر المرتبط بعلامات الساعة ، منها:

- قوله صلى الله عليه وآله وسلم « **فُتِحَ اليومُ من رَدْمِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ مِثْلُ هَذا**» وحلّق بين السبابة والوسطى .
- مدرسة الدجال والتحذير من ظواهرها الحاضرة والمستقبلة.
- مدرسة المنافقين.
- مدرسة مسيلمة الكذاب.
- مدرسة حرقوص بن زهير ( المدرسة الحرقوصية ) « **يَخرجُ من ضئضئ هذا** ...»

مظاهر الفتن الخاصة داخل الخيمة الإسلامية « **إني لأرى مواقع الفتن من بيوتكم كمواقع القطر** »..

**يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلاَّ دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً »**[1]..

فموته صلى الله عليه وسلم إحدى محطات التحول في المسيرة العالمية كما أنها إشارة أخرى إلى تمام ومنتهى بلوغ الدعوة الحنيفية درجة الكمال ، ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾[2] وسارت هذه الابتلاءات والتحولات مع الحق المحفوظ بحفظ الله بين ثلاثة نماذج:

| **الإفراط، والتفريط، والاعتدال..** |
|---|

وسَارَ معها دليلها لدى فقهاء التحوّل من مرقومات ومنطوقات الأصلين الشرعيين حيث كان فقهاء التحوّلات يبرزون لأُولي الحُكم والعلم مقتضيات العلامات الدالة على الانحراف في سُلوك الأفراد والفئات وما يجريه الله من حكم القضاء والقدر في منطلقات الأمة..

ولسنا في حاجة لتعيين محطات الباطل ومنطلقاته حيث يدرك الكثير اليوم ما قد سارت فيه أمة الإسلام من انحرافات والتواءات وقد أشرنا إلى أطراف منها في كتابنا « **التَّليد والطَّارف** »[3] وإنما نشير إلى ما نحن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٣٤٠ فتح) .

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) كتاب التّليد والطّارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف (مطبوع للمؤلف).

بصدده هنا من بلوغ الأمة إلى آخر مسارات الانحراف المؤدي إلى جُحْرِ الضَّب الموعود..

وإذا ما قرّبنا مسافة التحول التي مهّدت إلى السقوط المباشر في هـذا المسرب الخطير، فإننا لابد أن نشير إلى ما عَبـر عنه صلى الله عليه وسلم بمرحلة الغُثاء « الغثائية »[1] هذه المرحلة التي انتقل فيها قرار الأمة إلى يد الكافر عبر سلسلة من التحولات والخداعات والتمويهات والتقلبـات. وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة من أَلِفها إلى يائها بأربعة أو خمسة أقسام، وهي:

١- مرحلة المؤامرة والتخطيط للاستيلاء على تركة الرجل المـريض، والمسماه في نصّ الحديث « **بفتنةِ الأحَلاس** ».

٢- مرحلة إسقاط قرار الخلافة وتقسيم العالمين العربي والإسلامي إلى مناطق نفوذ للدول الكبرى.. « **مرحلة السَّرَّاء** ».

٣- مرحلة إعادة نقض الحكم بالثورات والسياسات، وشمول سياسة « فَرّقْ تَسُدْ » وما يسمى ( مراكز النفوذ ) بين كتلتي الشرق والغرب..

٤- مرحلة شمول الصراع الطبقي والاعتقادي داخل حظـيرة الأمـة الإسلامية من خلال الدفع السياسي والاقتصادي وإثارة النعرات الدينيـة

(١) إشارة إلى الحديث: « **يُوشك أن تَدَاعَى عليكم الأمَمُ كما تَداعَى الأكَلَةُ على قَصْعَتها، قالوا: أَمِن قِلَّةٍ نحن يا رسول الله، قال: لا أنتم يومئذٍ كثيرٌ ولكنَّكُم غثاءٌ كغُثاء السيل** » رواه الطبراني في الكبير وأبو داود.

والطائفية والقبلية«مرحلة الدهيماء»[1] أو«**فتنة الدهيماء**»[2] (الصراع الطبقي والصراع الاعتقادي ) التي مهدت لما سُمي فيما بعد ( بمرحلة الصحوة ).

٥- مرحلة الصحوة، واستثمار سياسة المراحل السابقة، وإنجاح مشاريع اليهود والنصارى في العالمين العربي والإسلامي، وهي ما سماها النبي صلى الله عليه وسلم « **بالفتنة الرابعة البَكماء العَمياء الصَمَّاء التي يؤول أمر الأمَّة فيها إلى الكَافر** ».. وأول مساراتها ما يسمى في قاموس العصر ( بالعولمة ).. **والعولمة** هي: تطويع العالم لسياسية القطب الواحد والقرار العالمي الموحد ( النظام الدولي ).. وأساس منطلقاته:

---

(١) هذه المراحل الثلاث التي أشار إليها المصنف جاءت في حديث واحد أخرجه أبو داود (٥/٥،٦) وأحمد في المسند (١٣٣/٢) من طريق أبي المغيرة، حدثني عبدالله بن سالم، حدثني العلاء بن عقبة، عن عمير بن هانئ العنسي، سمعت عبدالله بن عمر يقول: كنا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر **فتنة الأحلاس**، فقال قائل يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال:« **هي هَرَبٌ وحَرَبٌ**، ثم **فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم انه مني وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلاّ لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت عادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين – فسطاط : إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط مغلق لا إيمان فيه فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده** » وصححه الحاكم (٤٦٧/٤) ووافقه الذهبي.

(٢) المراد بالدهيماء عموم الأمة من البداوة والقبائل والطبقات الاجتماعية المحكومة.

١- الترسانة العسكرية النووية.. مع نزع سلاح الغير.

٢- الاقتصاد الرَّبوي.

٣- الأيدلوجية الإباحية الكافرة.. مع محاربة (الديانة والتـــدين).. ( **الثقافة الثالثة** )[1]..

٤- الثورة المعلوماتية.

وبهذه الأسس تسقط السياسة المرحلية القائمة علـــى ( المـــسميات السياسية )الجمهوريات والملكيات والإمارات والـــسلطنات.. ليتحـــول العالم إلى شبه دولة عالمية تحكمها الآلة، وتتشابه فيها مصالح البشر على أساس نظري ( لا دينـــي ) ومن خلف هذا.. تكـــون القبـــضة الأولى والأخيرة ( للمسيخ الدّجال )..

وهذا ما يرسمه ( المهندسون العالميّون ) ويخططون له ومن أجله علـــى مدى عشرات بل مئات السنين؛ ولكن نحن في شِرعَتِنا الإسلاميّة العالميّة نعتقد أن هذا البُعد الفكري لن يتعدى قول الله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[2].

---

(١) الثقافة الثالثة مصطلح برز جلياً مع بروز مفهوم الألفية الثانية، وبدايات القرن الواحد والعشرين، وهي ( ثقافة العلم والتكنولوجيا ) وهذا المسمى يشير إلى تغيير خطير في مفهوم الثقافة، وتعريف المثقف بدأ به الغربيون منذ ما يقارب الخمسين عاماً.. اهـ العربي/ العدد ٥٤٤، محرم ١٤٢٥هـ مارس ٢٠٠٤م.

(٢) سورة الأنفال: ٣٠.

و مع هذا الأمن والإيمان بالله في كونه.. فالحجة علينا نحن المسلمون قائمة حيث نزعنا إلى الخمول والجمود والتواكل.. حتى أصبحت هذه العلّة ظاهرة المرحلة بعمومها.. من قمة المجتمع إلى قاعدته الشعبية..

فالمثقفون المعاصرون يعتقدون -كما برمج لهم- أن العزلة والخمول إنما هي تهمة عالقة بالتصوّف والصوفية. ومن الصوفية من يعتقد أن التهمة عالقة بالسلفية والحزبية.

ولهذا فَهُم يرون أنفسهم في مأمن من ذلك، والحقيقة المرة أن العلّة شاملة كافة تركيبات المجتمع الغثائي من أَلِفه إلى يائه كما يقرر ذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم: « **أنتم يومئذٍ غُثاءٌ كغثاءِ السَيل**»[1] وهذا ما تفسره الأحاديث، وتبرزه الظروف العالمية المحيطة..

وفي خضم هذه العلل تبرز مفاهيم « **الوسطية والاعتدال** » على لسان القادة والعلماء والمفكرين، كما برزت قبلها مفاهيم الصحوة والثورة وتصبح العبارة ( إحدى لُبَانَاتِ المراحل ) التي تَلُوكهَا الألسنة، وتحضّر لها المصانع تحضيراً يتناسب مع حركة العرض والطلب حتى ينتهي وقتها وتسقط ورقتها.. وهكذا دواليك.

إن ( **الوسطية والاعتدال** ) التي يُتحدث عنها في مرحلتنا المعاصرة.. آلية سياسية يُراد بها إعادة ترتيب الصراع الاجتماعي داخل الأمة العربية والإسلامية بأسلوب يضمن ضَرب المسلمين ببعضهم البعض مع عدم

---

(١) سبق تخريجه .

المساس بمصالح المؤسسات المانحة ( قرار العولمة ) في شتى بقاع الأرض..

وبهذا المفهوم تصبح ( الوسطية والاعتدال ) المتحدَّث عنها إعلامياً من وجهة نظر الإسلام إحدى معاول الهدم في جدار الأمة عبر تاريخها المنهوك..

أما إذا أردنا أن نعرف «**الوسطية الشرعية والاعتدال الشرعي**» من وجهة نظر الإسلام نفسه.. نجد أنفسنا أمام منهج عالمي وقانون سماوي يحمل مقومات العدل والرحمة والسلام في أنصع صورها الإنسانية، ومع كافة البشرية المتقاسمة مصالح الماء والهواء في هذه الحياة.

إن مرحلة الوسطية والاعتدال مرَّت بتعثرات خطيرة في تاريخنا الإسلامي والإعلامي ، فهي في ما بعد مرحلة الخلافة الراشدة اتخذت شكلاً من أشكال التفريط والإفراط المنبعث عن الانفعال الطبعي لا الشرعي في شأن القرار.. ثم في مراحل أخرى اتخذت شكل الإفراط في شأن العلاقات والولاءات في قضايا آل البيت والتصوف لدى البعض مع تفريط لدى آخرين في ذات العلاقات والولاءات حكماً وعلماً وبقيت في حد الاعتدال لدى فئات أخرى.

وكان التفريط والإفراط الأول قائم على تغليب الطبع على ثوابت الشرع فكان ما كان..

أما في مرحلة الغثاء فالإفراط والتفريط انتقل إلى ما يسمى بالتسييس، حيث صار « عدوّ الأمة » مهندساً لأبعاد المعرفة والثقافة وبناء الشعوب..

ولأجل أن نعرف ( الوسطية والاعتدال ) من حيث يجب أن تكون، فإننا نبسط هنا للقارئ الكريم مفهوم الوسطية والاعتدال، مع بسطنا لمفاهيم أخرى تُعيد بإذن الله للأمة توازنها الشرعي أمام تهوكات الإفك المدجج، وتسهم في طرح مراهم المعالجة ( في أبهى حُللها الاجتماعية المشروعة بعيداً عن التسويق الرخيص ومُصادرة المعرفة العالمية الشرعية ).

وأملنا الكبير أن نجد في قلوب وعقول أجيالنا المخدوعة موقعاً مهيئاً يقبل الأمانة ويحافظ عليها ويعمل على نشرها وإبرازها.. حيث ثبت في الحديث الشريف: « ارتفاع الأمانة عن كثير من هذه الأمة في أخريات الزمان » ، ولا حَول ولا قَوة إلاّ بالله العَلي العَظيم، وحَسبُنَا الله ونِعَم الوكيل، نِعَم المَولَى ونِعَم النَصِير.



# الوَسطيّة الشّرعيّة وَالإعتدَال الوَاعي وَالحَلقة المُفرَغة التي يَجب الخُرُوج منها

إن أول الشروط اللازمة لإنجاح مبدأ « الوسطية والاعتدال المشروع » العمل الدؤوب على تنقية الأوعية النفسية والقلبية والذهنية من مخلفات المراحل المسيّسة ذات العلاقة ( بالفكر الجاهلي العالمي ) أو ما يمكن أن يطلق عليه **مرحلة الجاهلية الثانية**[1].

**والفكر الجاهلي العالمي**: ركام الأفكار الاستعمارية والاستهتارية والاستثمارية، التي طَوعت المنطقة العربية والإسلامية في قبول المشروع العالمي للاستعمار بُعيد سقوط قرار الخلافة الإسلامي في العالم.. ( تركة الرجل المريض ).

وليس كلّ الرّكام الاستعماري والاستهتاري والاستثماري سِلبي الفائدة.. وإنما السلبية في استخدامه رأس حربة ضدّ الإسلام وهو ما نسميه « بتسييس القضايا »، وعندما نعزل بين العلم والحضارة، وبين سياسة المستثمرين لها نستطيع أن نجد أنفسنا مع حملة الحضارة العلمية على قواسم مشتركة غير مسيّسة، وهذا هو ما يُعرَف «**بالقواسم**

---

(١) الجاهلية الثانية: مصطلح يقابل المعنى المشار إليه في القرآن (بالجاهلية الأولى) في قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ فالجاهلية الأولى أذهبها الإسلام وأزال آثارها بالشريعة المطهرة وبتوحيد قرار المسلمين.. وأما الجاهلية الثانية فقد بدأ تنشيط عودتها مع نزع قرار الإسلام وامتلاك الكافر القرار العالمي في السلم والحرب ، وذلك ما يعبر عنه بمرحلة الغثائية.. اهـ

**المشتركة بين الشعوب**» والشعوب في العالم كلّها تتطلع إلى السلام، وإلى الحياة المستقرة، وهذا هو مُراد الله في العالم يوم خلق الإنسان، وأورثه خلافة الأرض بتكليف رباني وتكريم رحماني؛ ولكن نَزْعَة التسييس للقضايا بدأت بما سماه القرآن «**وسواس الشيطان**»[1]، «**فتنة الشيطان**»[2]، «**خطوات الشيطان**»[3] وهذه هي مبتدأ تسييس الشر في العقل الإنساني.. مستفيداً من الضعف الأصلي في خلق العنصر البشري ﴿ **وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا**﴾[4]،

﴿ **وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾[5]، وقد استطاع « الشيطان وأعوانه » على تكوين مجموعة العمل الإبليسي في العالم منذ بدء الخليقة.. وتطورت نظريات هذه المدرسة، وتفرعت في كل الشعوب والأجناس؛ بل وتطورت بتطور الإنسان ذاته وتطوير وسائله، و لم تأتِ مرحلة الفكر الجاهلي الاستعماري إلاّ على قمة التطورات العلميّة المسيّسة لمصلحة (

---

(١) ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [ الناس:٤].

(٢) ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [ الأعراف: ٢٧].

(٣) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [ البقرة : ١٦٨].

(٤) سورة النساء: ٢٨.

(٥) سورة الكهف: ٥٤.

عصبة العمل الشيطاني ) في العالم ، وعصبة العمل الإبليسية.. تنـــهج في سيرها الشيطاني على تعميق ( الإفراط والتفريط ) في شتى الأمور.

ومن حيثما استطاع الشيطان وأعوانه تزيين (الإفراط) أو (التفــريط) في سلوك الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الأمة أو المرحلة.. فقد كـــسب المعركة لصالحه، ولو داخل (الديانة والتدين)، ومن حيثما استطاع الإنسان انتهاج منهج الاعتدال والتوسط في سلوكه، أو سلوك غيره، وعمل الفرد والأسرة والجماعة والأمة على بسط ميزان الاعتدال والوسطية فقد خَــسِرَ الشيطان المعركة ولو (داخل محيط الكفر والكافر)..

فالاعتدال والوسطية في معناها العام مَكسَبٌ عالَمي للأُممِ ضدّ سياسة الشيطَان ومدرستِه.. ولكنّها في مَعناها الإسلامي الخاص معالجة شـــرعية ناجحة لبناء الإنسان وفق مُراد الله في العالم. وهي المعبّر عنها في قولـــه تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[(١)].

ومن هذا المنطلَق الواعي نَجِدُ أنفسنَا أمام استراتيجيّة واضحة المعـــالم تقشع سُحُب الضبابية الفكرية، وتبدد ركام الظلام الإعلامي المنتشر.

إنّ فهمنا ( لمشروع الوسطية والاعتدال الواعي ) يشبه المتدرع باللباس الواقي ضد المواد الكيماوية المنتشرة في المحيط الموبوء، ومحيطُنـــا الموبـــوء يُقولِب المفاهيم وفق الحالة إذا لم يكن الحامل لها يمتلك اللبـــاس المعـــرفي الواقي، وهذا ما نحن بصدده..

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

فالعالم كلّه يحتاج إلى الوسطية والاعتدال كمبدأ فطري.. كما تحتاج الأمة الإسلامية إلى ( الوسَطيّة والاعتدَال ) كمنهَج شرعيّ يُوجّه الفِطرة ويسدّدها نحو مُراد الله.. وهذه الحاجة تقتضي الخروج الشجاع عن مفهوم الأمة المتداول حول الوسطية والاعتدال إلى مفهوم أكثر شمولاً وعالمية وأنفع تشخيصاً ومعالجة..

فالعلّة المنتشرة في الواقع الإسلامي المذهبي واللامذهبي -مثلاً- ترجيح كل ذي مذهب مذهبه على مذاهب غيره، أو ترجيح الرفض التام للمذهبية بكل نماذجها وصورها نحو منطلق اجتهادي جديد.. وكل هذا يدلُّ على الوقوع في المحذور من طرفي الإفراط والتفريط، والسلامة منهما أن يتقبل الجميع ما يختلف عليه كمبدأ أو مذهب خاص له محاذيره وله إيجابياته يصحّ لمعتنقه العمل له وفق اجتهاد مذهبه وتقرير علمائه دون الردّ لعمل الغير أو التعريض به أو النقض له من كافة الوجوه.. أما فيما يتعلق بالمواقف فهناك خطوط حمراء يجب التوقف عندها إلزاماً ليتحقق مبدأ الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، والمقصود **بالمواقف**: حكم البعض على البعض الآخر بكفر أو تشريك أو تبديع أو لعن... أو غير ذلك مما يحصل به الافتيات والوقوع في مذمة الإفراط أو التفريط المشين. وقد عانت الأمة خلال مرحلة الغثاء -ولا زالت- تعاني من تسويق هذه الظاهرة التي جنحت بالكثير إلى الخروج عن دائرة التوسط والاعتدال المشروع..

ولأجل أن ندخل إلى مرحلة ( الوسَطيّة والاعتدَال ) المروّج لها بثبات ومسؤولية.. يجب أن نأخذ منهجنا الإسلامي الشرعي ليحقق العدل المرجو والتوازن المطلوب.. وهذه مسؤولية كبرى لا تقف عند مستوى العرض الكتابي؛ بل تتعداه إلى شؤون عديدة في معركة الحياة العامة والخاصة. وأهم ما يجب التعرف عليه في هذا المشروع الواعي، ما يلي :

١- معرفة مفهوم تأصيل البدائل، والعمل بها من غير إفراط ولا تفريط.

٢- معرفة مفهوم تحديث الوسائل، والعمل من خلاله من غير إفراط ولا تفريط.

ولنستفيد المعنى المتحصل من هاتين العمليتين نبسط هنا بعض الإيضاح الهام والواجب.



# تأصيل البدائل

**التأصيل** للشيء : التقعيد له.. إعادته إلى أصله.

**والبدائل:** جمع بديل، وهو الشيء الذي يحلّ بدلاً عن شي آخر.

ومن شروط البدائل الناجحة: خدمة الهدف الأسمى دون إحداث تغيير في أصول الفكرة الأولى أو الأساسية.. وقد خَدَمَ القرآن هذا المفهوم خدمة جيّدة عندما بيّن عظمة البدائل، وإنجاحها في حمل فكرة المُبدَل بتحديث الوسيلة، وتأصيل المفهوم، وربطه بالهدف السامي، قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾[1]. فالدعوة واحدة والاختلاف يكمن في الوسائل مع تأصيل مشروعية البديل..

والإشكال المحيط بنا أن ( عُصبة العمل الشيطاني ) أحكموا سياسة البدائل السلبيّة، وزينوا للعقل الإنساني قضية إشباع الغريزة بعد حجب العقل والعاطفة عن سموّ الهدف الشرعي، فصرفوا نظر الأجيال عن سياسة التنزيل إلى تسيس الرغبات والدوافع وإلهاب الأحاسيس بالقال والقيل والتدجيل والتطبيل، مع أن إشباع الغريزة أمر له شروطه في الديانات؛ ولكن بإدخال تربوي وتعليمي ودعوي محدد وموجّه.

والأصل في ( المطلب الرباني ) للعباد انطلاق كلّ شي في حالة اختيار الوسائل والبدائل من وحي السماء، ومنهج الأنبياء وما قيسَ عليها، واقتبس من أصولها.. أمّا (أصول المطلب الشيطاني) مخالفة المنهج

---

(١) سورة فصلت: ٤٣.

السماوي، وإبطال التشريع الإيماني، والقدح في كلّ تراث قديم، وإرضاخه للعقل الإنساني ورغباته .

وقد مرّ بالعالمين العربي والإسلامي مراحل بالغة الخطورة عملت على مسخ هذا المبدأ، وأحلت مكانه بدائل شيطانية الأصالة والمعاصرة، وفي هذا يقول الحقّ سبحانه وتعالى ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا**﴾[١].

وحكى القرآن في مسألة البدائل المنحرفة التي لا ترتبط بالأصل الشرعي مطلب بني إسرئيل في مرحلة التيه ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ** ﴾[٢] فاختيار اليهود لأنفسهم طعاماً وشراباً يرغبونه ويوفي بحاجة غرائزهم وهواياتهم سمّاه القرآن (مطلب أدنى) و (بديل سيء)، وأطلق على مراده واختياره الذي حققه لهم (موسى) ﴿**بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ**﴾. ولهذا فقد أوكلهم الله إلى اختيارهم الغريزي، فقال: ﴿ **ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ** ﴾[٣] ولأن أمة بني إسرائيل قد فشلت تماماً في تحديث

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

(٣) سورة البقرة: ٦١.

الوسائل كما فشلت في تأصيل البدائل، فقد أدانها التنـــزيل إدانة صريحة ومثلهم أمة النصارى.. وفي هذا المضمار يشير المصطفى صلى الله عليـــه وآله وسلم أن أمة القرآن تعاني هي أيضاً في مراحلها الغثائية مـــن ذات الداء، والعلّة التي أصابت بني إسرائيل: « **لتتبعُنّ سَنَنَ مَن كَان قَـــبلَكُم شِبراً بشِبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَـــدَخلتُمُوه** »[1] ويكون هذا بفقد مقاييس العلم بالشريعة، وبدء دخول الأمة إلى فقـــدان القرار في موقعي الحُكم والعِلم.. وفقد مقاييس الشريعة تكون بتـــسيس المنهج التعليمي، وفقدان المنهج التربوي والدعوي. أما فقدان قـــراري الحكم والعلم فيكون بشمول النقض السياسي المهيمن على المرحلة.. قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم** ﴾[2].

وقد مضت خارطة الطريقة السلبية بدءاً بمرحلة الاستعمار في مشروع إفساد ( الوسائل والبدائل ) مرحلة بعد أخرى في كافة المستويات الـــتي عَبَّرَ عنها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وســـلم، بقولـــه: « **لتُنقَضَنّ عُرَى الإسلامِ عُرْوَةً عُرْوَة كُلَّما نُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَمَسَّكَ النَّـــاسُ بالتي تَليها** – لانعدام البدائل- **أَوَّلُهُنّ نَقْضاً الحكمُ وأخِرُهُنّ الـــصَّلاةُ، ورُبَّ مُصَلٍّ لا أمَانَةَ لَهُ** »[3].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة محمد: ٣٨.

(٣) وقد مرت الأمة منذ نقض قرار الحكم بهذا الحشد من النواقض داخل وخارج الخيمة الإسلامية في كثير من مستويات حياتها الدينية والدنيوية، حتى بلغت إلى ما عَبّرَ عنه الرسول صلى الله عليه وآله

والمعتقد أننا الآن في مرحلتنا هذه قد بلغنا إلى رفض الوسائل الشرعية وإدانة تأصيل البدائل.. حيث حَلّ بالأمّة ما قد أخبر عنه سيد الورى في حديث حذيفة بن اليمان عن النبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: « **والّذي نَفسِي بِيده لتَأمرنّ بالمعروفِ ولتنهونّ عن المنكرِ أو ليوشكنّ الله أن يبعثَ عليكم عِقاباً منه ثُمّ تَدعُون فلا يُسْتَجَابُ لكم** »[1]. « **كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً** » الحديث ..

والمتأمل من أهل النظر والإدراك حال الانحدار في كافة وسائل الحياة، وما ترتب على ترك الآداب والأخلاق من بدائل مدمّرة يعي ملحظ صاحب الشريعة في مدى انزعاجه وخوفه من شر البدائل التي تُصيبُ الأمّة وباختيارها في بعض الأحوال، وفي أحوال أخرى بفعل الأصابع الخفية سياسة المدرسة الأنوية الإبليسيّة في العالم، والمقصود بالاختيار: هو الاستحسانات الناتجة عن ضعف المواقف الشرعية، وحيناً التزيين النفسي والتسويلات الباطنة ذات القوى الفاعلة في توجيه العقل والقلب إلى الانحراف مع التأثير الشيطاني الجاري من ابن آدم مجرى الدم.



---

وسلم بنقض الصّلاة، وقد تهيّأت لهذا النقض في مرحلة الغثاء مؤسسات وعلماء وأقلام وألسنة، وانتشر داء النقض إلى كافة العالم العربي والإسلامي من خلال (الوسائل وسوء البدائل) والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢٥١/٥) و الحاكم في المستدرك (٩٢/٤).

(١) رواه الترمذي (٣١٧/٣) وأحمد في المسند (٣٨٨/٥) والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٩/١٠).

# تحديث الوسائل

التحديث يعني: التجديد.

والوسائل: هي الآليات التي يتوصل بها إلى الغايات والمقاصد.

ولما كان التجديد سنة الله في خلقه[1] فقد ميّز الحقّ سبحانه مصنوعاته بالثبات والاستغناء عن التجديد، فالإنسان والحيوان والجمادات والنباتات، وسنن الطبيعة: ماء وهواء وغذاء متميزة بالثبات، ووحدة النوعية التي لا تقبل الحاجة إلى التجديد؛ ولكنّها تقبل بعض التحسين والتكثير والتعديل.

بينما كلّ ما يصنعه الإنسان يحتاج بالضرورة إلى تجديد النموذج والتصميم، وربما إلى تعديل أصول الفكرة كلها لتبرز في قالب جديد مقبول.

ولما بعث الله الرسل بالرسالات عَلِم أحوال العباد، وما يطرأ على مراحل الوجود الإنساني من التقلب والتطور، وآثار الاحتكاك بالوجه الآخر. فجعل مسألة التجديد للرؤى والأفكار واستنباط المفاهيم ممكنة المآتي على شروط تتسم بالثبات، فعدّد الأنبياء للأمم، وعدّد وسائل تبليغهم، بل وعدّد حتى معجزاتهم.

وجعل الرسالة ومعجزتها على يد نبي كلّ زمان مما يتناسب مع عقليات أهل ذلك الزمان، وحدود وعيهم المعرفي؛ لتقوم الحجة عليهم..

---

(١) أي في إبداء ضعف المخلوق الذي لا يتسم بالكمال.

وفي ذلك يقول الحقّ سـبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[1] فالكتب السماوية وإن كانت حاوية في مجموعها على معنى واحد فيما هو مطلوب؛ لكنّها عددت الأسلوب، ونوعت الوسائل في إقناع العقل البشري، وإقامة الحجة عليه، وإثارة كوامن فطرته[2].

إذن فالتحديث للوسائل شأن له أثر في قبـول الفكـرة، ورسـوخ أهدافها، ولقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دولة الإسـلام بوضع مشروع التحديث للوسائل.. ومن أهمها:

١- بناء المؤسسة الأولى المسجد، ومشاركة المسلمين في البناء.

٢- جمع الأوس والخزرج في وحدة ذات مسمى جديد «الأنصار».

٣- المؤآخاة بين المهاجرين والأنصار.

ويبلغ التحديث في الوسائل مبلغه حتى في ( الأسـلوب التعـبيري ) للمرحلة ، فالقرآن أحدث أسلوب تعبيري عرفته العرب يحمـل جملـة شروط الإعجاز، ولم يكن لها عهد بمثله في صياغة مع أنه يحمـل لغـة العرب ذاتها؛ بل وفي القرآن اقتباس من اللغات المعربـة ممـا يـشير إلى الاستفادة المناسبة من غير اللغة الأم عند الاستدلال..

---

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) بل إننا نجد كل جديد يطرأ على عالم البشرية من الاكتشاف والاختراع قد سبق القرآن تناوله والتعبير عنه. إما بصورة مجملة أو بصورة مفصلة.. مما يؤكد أن التجديد الذي نعرفه في حياتنا البشرية ثانوي المعنى بالنسبة لمستجدات العلم الذي سبق به القران ذاته.

وجددت لغة القرآن العربية مفاهيم ومسميات لم يكن للعرب بها سابق معرفة في القاموس اللغوي.. كلفظتي ( منافق، وفاسق ) فهما من الكلمات المستجدة في القاموس العربي القرآني من حيث الدلالة على المعنى.. وفي هذا كمال التأكيد على أهمية التحديث للوسائل..

بل يجعل القرآن الكريم قضية التجديد والتحديث في وسائل الحرب والمعركة ضرورة هامة في الجهاد الشرعي في سبيل الله.. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] ومدلول القوة لا ينحصر عند العدد والعدّة؛ بل يتعدد إلى أسباب النصر في المعارك.. ويدخل في معانيه التعبئة العامة، والتحريض، ودراسة الأحوال الجغرافية والطبيعية، وعلم الاستطلاع، وغيرها من العلوم التي تنطوي تحت مفهوم القوة وإقامة أسبابها، ولهذا جعلها في مقدمة الآية ثم عرّج على قوة المركب يقول: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[2].. ويتناسب مدلول التحديث مع عظمة الأسباب التي أوجدها المسبب في الحياة.. اللهمّ أن منطلقها يجب أن ينحى ذات المنحى السابق وهو الاعتدال والتوسط حتى لا يجنح إلى أحد النقيضين.

ومن هذا المفهوم المستجد نعتقد أن كافة الموروثات الإسلامية بما فيها الذكريات والمناسبات يجب أن ترضخ لهذا المبدأ الهام حتى لا يصيبها ما

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

أصاب المرحلة من داء التفسير الأنوي المعبّر عن الطعن والهَمز واللمز في التاريخ ورجاله..

لقد بَرَزَ على ساحة الحياة المعاصرة من آمن بفكرة التحديث للوسائل؛ ولكن على منحى التفريط. فاستعملها في احتضان كل جديد من المعرفة والصناعة والآلة حتى تغرّب الجيل خلف الجديد رافضاً للقديم وموروثاتِه؛ بل ودامغاً لها ومهمّشاً لدورها ومحرفاً لمفهومها التاريخي الشرعي. وبلغ التفريط غايته عندما احتضنت هذه المدرسة مفهوم التحديث حتى فيما حرم الله..كاستخدام الوسائل الإعلامية المنحلّة أو المساهمة فيها أو في تشييد أروقة الرِّبا والمصارف الربوية الحرام. ويقابلها في منحى الإفراط من يأبى الاستفادة من وسائل الحداثة معتبراً إياها « مظهراً للكفر والانحلال » دون تمييز ولا تمحيص.. أو أخذ من وجهة النظر القاصرة يُفسر مخترعات الحضارة كاكتشاف القمر، وعلوم الفضاء الكوني، مجرد كذبة وصور يعرضها الكفار على عقول الناس للكسب الإعلامي والسياسي.

إن هذه المنظورات الغريبة لا علاقة لها بالديانة الشرعية كعلم ومعرفة.. وإنما هي تفسر رؤية الفرد ذاته ومفاهيمه الخاصة به حيثما كان من طرفي الإفراط والتفريط المذموم، والسلامة في الاعتدال والأخذ بمبدأ الوسطية الشرعية..

وقد برز الفهم جليّاً في قوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] إنه بدءٌ لعهدٍ جديد من تحديث النعم وتجديد أسبابها.. فالنعم كلّها من الربِّ سُبحانه، وقد أمرنا أن نقرأ باسمه فتحديث القراءة والشرح والاستدلال في كافة الأمور الحياتية باعتبارها نعماً إلهية أمرٌ يُحَدّد شرف النِعم، ويحدّث أثرها، ويفعّل في عقول الآدميين بما لا تُفعّله الوسائل التقليدية الماضية، ومثله التحديث في وسائل المعرفة الدينية، يحرك الشرائح لعديد من أجيال المجتمعات لخدمة الدين ذاته لتُفَاعِل الوسيلة، وأثرها في استقطاب العقل الجامد والذهن المتحيّر، أو الفرد القلق من سلسلة الماضين، والخائف من مجرد القول بشبهتها أو خطئها..

إنّ مَفهومَ تَحديث الوسائل يَحتاجُ إلى زَيادة بَحث واعتناء ليَدفع بالواقع المتجمّد إلى حركة فاعلة وتموّج إيجابي يسمح للإسلام أن يتخذ موقعه في معالجة شؤون الدين والدنيا.. بديلاً عن السفسطائيات والتعقيدات والإشكالات المحيطة بالعقول والقلوب.. هذه التعقيدات التي غذمّا عقليّات المراحل بمزيد من الشكّ والريب، وسوء التفسير، وفساد التعليل والتبرير.. مما جَنحَ إلى التطرف والاندفاع في تحديد المصير.. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.



---

(١) سورة الضحى: ١١.

# مبدأ تأصيل البدائل وتحديث الوسائل وأهميّته المعاصرة

مما لوحظ بعد الاستقراء الواعي لكافة تحولات المراحل، وما نتج في ثنايا تحوصلاتها من حروب وفتن وانقسامات.. تأكد بالدليل أن وراء الأحداث عقولاً تُبدع استخدام الوسائل، وتتفانى في صنع جديد البدائل، ولربّما كانت بعض الوسائل المعروضة على العقل البشري من الفتنة بمكان حتى تأخذ باللبّ، وتدفع المرء إلى خوض معركة ما بدون شعور واعٍ، ومن هذه الوسائل المعبّر عنها بالفتن في أحاديث من لا ينطق عن الهوى ما ينطوي تحت مرسوم القضاء والقدر، ولا يسع المرء أمامها إلاّ التسليم والدعاء بالحفظ من الله تعالى وحسن التسديد.

وقد يأخذ بنا الاستطراد والمتابعة لهذا الأمر خارج موضوعنا المقصود، ولهذا فإن مقصودنا الأساس من هذا الأمر أن نلفت النظر الجاد من معاصرينا إلى أهمية التحديث للوسائل وضرورة تأصيل البدائل.. كرؤية واعية بديلة عن العشوائية الشيطانية والأطروحات الانفعالية النفسانية التي حفلت بها مجتمعات المسلمين في المرحلة الغثائية..

ولنسهم في هذا المشروع بإدراك ووعي مقرون بالافتقار إلى الله أن يوفقنا للحقّ وخدمة مسائله لنضع ما ييسره الله لنا في دائرة الحركة المعرفية من فُهوم استفدناها خلال نزولنا المباشر إلى محيط نشر الدعوة إلى الله، ومعايشة الحالة الراهنة العاكسة بحق مظهر الغثائية في كل مستويات

الحياة، فلعلّ لنا ولأهل عصرنا في مستجدات الرؤى ما يمثل بديلاً شرعياً يجمع الأمة على قاسم مشترك، ويقيم الحجة الناصعة على مدارس التعصّب والأنانية، مدارس الدوائر المغلقة والنظرات الضيقة حاملة فيروس الوهن.. الذي عَبَّر عنه من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم.



# القدوة الحسنة

من مفاهيم التأصيل المستجد للبدائل السليمة في الواقع المعاصر مسألة القدوة الحسنة.. وعلاماتها..

فالأصل في كل مناهج العمل الدعوي والشرعي، هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وحولها تدندن الفئات والجماعات وجلّ الحكومات؛ بل وبها ومنها تستمد الحجج والبراهين القاطعات حول مسائل الخلاف أو الاختلاف.. ولكنّا عند التمحيص الحق لهذه الأقوال.. نجد الكتاب والسنة في وضع المظلوم من الظالم.. حيث تفتقر المعادلة إلى نجاح العملية الشرعية إلى ثالثة الأثافي[1] كما يقولون:

**فالكتاب**.. مصدر الاحتكام الأول.

**والسنة**.. مصدر الاحتكام الثاني.

وتختلف بعد هذا مصادر الاحتكام وفق الثوابت المذهبية.

وإذا نحن سلّمنا لأهل هذا المدلول في بعض الأمور فإنا نعتقد أن الانحراف يفصح عن موقعه ومكانه داخل أروقة الاستدلال ذاتها لانعدام المعادل الثالث وهو « الأخلاق » فالأخلاق أساس ثالث للعملية الشرعية كلها وعليها مدار الإقتداء بالذات النبوية الحاملة سرّ الوراثة، ومظهر

---

(١) الأثافي : هي ( ما ينصب من الحجارة لحمل آنية الطبخ وأثقال النار تحتها). فالحجرة والحجرتان أو ما تسمى باللهجة العامية ( مراكد جمع مركد ) لا يمكن أن تحمل الوعاء أو الطست إن لم تكن لها ثالثة تحمل الشيء المطروح عليها..

القدوة الحسنة.. وقد أيّدَ الله هذه الثوابت في كتابه العزيز بقوله عزّ من قائل: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾[1] فالذات النبوية في ( مواقفها الأدبية ) لدى تطبيق الكتاب والسنة شرطٌ لازمٌ في الإقتداء لكل حامل سرّ الوراثة.. وبها تكتمل حلقة الإفادة، ويبرز سر القبول من الناطق بالكتاب والسنة..

وعلى ممر التاريخ الإسلامي يجد المسلم المتأمل أن المسيرة الثلاثية للثوابت الشرعية كانت مرافقة لبعضها البعض في غالب أحوال القرار السليم عندما يكون بيد أهله. أما عند انتزاع القرار من أهله فيصبح الكتاب والسنة حجج وبراهين مطوّعة بسوء أخلاق حامليها.. ولن تحتاج الأمة إلى إيراد الصور والنماذج المعبرة عن هذه الحالة، فالتاريخ القريب والبعيد قد أبرزها على سطح الحركة والتأثير فكان منها العجب العُجاب..

ولهذا فإننا نؤكد أن فشل الأمة الإسلامية في مرحلتنا المعاصرة ليست عائداً إلى فشل ( مادة الإسلام العلمية ) وإنما يعود إلى جنوح المسلمين عن ( مبدأ الإسلام الحق ) إلى طرفي الإفراط والتفريط إستتباعاً واستحساناً لناعقي الأبواق الشيطانية.. كما أن نجاح ( المدرسة الأنوية ) وانتشارها في أرجاء المعمورة ليس عائد لامتلاكها شروط النجاح والانتشار، وإنما هو تراكم السلبيات المفتعلة والموجهة ونسيج الأحابيل،

---

(١) سورة الأنعام: ٨٩.

. والحيل التي عمدت عصبة العمل الإبليسية امتلاك مواقع التأثير منها على الإنسانية، حتى « **وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ** » ..



# عـالـميّة الـقرآن والسُّنـة

ارتفع مستوى التحديّ بين الرؤى والأفكار والتنظيرات إلى مـــستوى بلغ في مرحلتنا المعاصرة قمة الحيرة والغرابة.

حيث انطلقت غالب العقول المعاصرة من سياسة الأمر الواقع وشكلت جلّ أحكامها ومواقفها المصيرية عن الحق والباطل والجدارة والخسارة والنجاح والفشل من نتائج المعارك المعرفية على مسرح الحياة.. والمهزوم من كل وجه من سقط في معركة الحركة الهلامية والإعلامية.. وضعف بوعي أو بغير وعي عن ملاحقة ركب الضجيج والصخب والصوت والصورة.. فالمنسحب والمتريّث مهزوماً في القاموس المتداول.. والظاهر والمتحرك والبارز في لوحة الحركة والفاعلية منتصر وجدير بتبوء مركز القيادة من عمليات العرض والطلب.. في سوق النخاسة المحلي والعالمي..

وكان لابد لأمثالنا نحن معاشر المسلمين في أوطاننا الممزقة ومفاهيمنـــا المتفرقة أن نتبوأ في الوجود الإنساني مكاناً ولو على مدى المرحلة المتفائلة.. والوجود الإنساني يعنـــي في لغة الحياة: موقع القرار. وموقع القرار بالنسبة لنا حملة الديانة والتدين لم يعد نقياً صافياً كما كان على عهـــد وحـــدة الأرض الإسلامية بعمومها، وريادة الفكر، وسياسة الدولة الواحدة.. لقد صار لنا في خريطة الواقع المعاش أكثر من ٢٣ خريطة على مساحة الورق المباع.. وصار لنا أكثر من ألف حامل قرار موجه من خارج الرقعة المحلية، وصارت لنا مسميات تحمل رمز التناقضات من أعلى مستويات الحكـــم

حتى أدنى مستويات المعرفة والعلم..كما صارت لكل من بــؤر حركتنــا الفاعلة داخل خريطة الزمان راية وعَلَم ونشيد وطـــني ورمـــز وأجهـــزة إعلام.. وصار لكلّ جزء من هذه الشارات دوائر وشعائر ومشاعر، ومن ثم لابد أن يكون هناك تجزء في الديانة والتدين.. وفق حاجـــة الحـــضارة الجديدة.. وتجاوز لما لا يناسب التحوصل الموجّه وترك معرفي لمرقومـــات الفقه التقليدي من مشهور وظاهر وأظهر وأوجه.. فلغة المعرفة دائماً تتغير بتغير أوعيتها، وبمجرد تغير الأوعية تتغير مواد الأوعية أيضاً.. والرابح مـــن كل وجه في هذه المعادلة من كيّف نفسه ومعلوماته وطموحه وفق هـــذا التشكيل الجديد..

ورحلتنا نحن أمة « القرآن.. والسنة » مع هذا الانسلاخ المتتابع كـــان مُبتدأً من سقوط دولة القرار.. والذين رتبوا سقوط القرار مع سقوط هيبة الدولة هم الذين تولوا فيما بعد تجهيز الهزائم، وتربية الـــسوائم وإعـــادة تشكيل المعلم والمتعلم والعالم والمتعالم..

وكلما نشأ جيل في بؤرة من بؤر التهجين عاب على نفسه ومجتمعـــه سوء الحالة، وضعف الإحالة، وعفانة العمالة؛ ولكنّ لا يـــدري كيـــف يعمل، ومن أين يبدأ؟ فكان لابد من التعبير عن الرأي، ورفع الـــصوت، وإدانة العدو، والتغنـــي بالأمجاد.. ويعود أحدنا من هذا الحماس المتقـــد مكدوداً إلى فراشه معتقداً أنه قد أدّى دوره المشروع، وعبّر عما يجـــول في خاطره المفجوع..

وفي الحظيرة من يدرك هذا الانفعال ويرعاه ويوجهه إلى حيث يجب أن توجه انفعالات الشعوب.. فتعبر عن رأيها دون أن تمس شغاف المشكلة، وتطالب بالتغيير والإصلاح دون أن يصل المطلب إلى إفساد سياسة الحركة المتأصلة.. وعدنا مرات ومرات في نطاق الدوائر المفرغة والإطارات المتحوصلة..

إذن فنحن وهذه حالتنا فلا أمل في الخلاص.. والحكم بالموت صبراً في عنابر الاحتواء الخارجي صار عنه لا مناص.. هكذا أو ربما هكذا يعتقد الكثيرون..

قلت: والله اعلم.. إن مسألة الخلاص بمعناه الدقيق في قاموس الديانة والتدين موضوع تأجيله خير من تعجيله.. وأما المساهمة في صنع قرار الخلاص فهذا أمر ملح للغاية وضروري جدًّا، كما يجب على كل مسلم أن يسهم في صنعه وتجهيز تركيباته المستقبليّة، والمستقبل غيب ولك الساعة التي أنت فيها.. وانشغال أحدنا الساعة وفق مراد الله عين الصواب المؤدي إلى نصرة أمر الله، وشمول العدل المأمول بإذن الله.. ﴿ **لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ** ﴾[1].

وأول شروط العمل السديد في صنع قرار الخلاص ارتفاع مستوى الثقة بموروثات الشريعة ومرقوماتها؛ لأنهما أي هذين المورثين ( الكتاب

---

(١) سورة الروم: ٤-٥.

والسنة ).. هما مرجعية التوثيق التاريخي المؤصل لثوابت الديانة والتدين في العالم؛ بل هي الأساس والمصدر لإدانة سماسرة التجارة بالأديان.. والإنسان.. وبمقدار احتضانهما -أي الكتاب والسنة- مجردين عن الحذف والإضافة المرحلية نكون قد ضَمِنّا سلامة المنطلق الفاعل في طريق الخلاص.

ثم يبدأ فك الرمز التعبيري والبعد التصوري لمراد الله، ومراد رسوله داخل هذه النصوص المقدسة، فما كان لتاريخ مضى وتشريع مؤصل.. فلا يسعنا إلاّ الاتباع والانتفاع.. وما كان لمستجدات الحياة، وجديد حركة الوجود في كل اتجاه، فيجب الكشف عن كنهه، وإطالة النظر في فقهه ومراداته.. ففيه نبع الحياة الذي لا ينضب، وبلسم الجراح الذي لا بديل عنه ولا عوض..

وأهم ما ينبغي معالجته وإشاعته والاعتناء التّام به مسألة العالمية.. فالمرحلة لا تتسع إلاّ لهذا المنطلق.. ومن لم يرتقي بالديانة والتدين إلى مستواها العالمي ( لغة القرآن والسنة ) سقط في حضيض الهوان.. وأسهم في تحقيق الصراع والنزاع المفضي إلى سيادة العدوان والبهتان إلى ما لا نهاية..

وعالمية الديانة نابعة من عالمية ( أصولها ) وأصولها ثابتة الأساس محفوظ بحفظ الله ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [1]، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [2]..

فالعالمية هنا أكيدة المنطلق ولا غبار عليها.. ولغة الأصلين الكتاب والسنة، هي اللغة الجامعة الحاوية أصول الانطلاقة المعرفية إلى نهاية التاريخ.. ديناً ودولة.. ثقافة وتربية وتعليماً واقتصاداً وسياسة.. وتوثيقاً وأصالة..

وإشكالنا أمامها أننا نقرؤها بلغة الاستعمار، ولغة الاستهتار، ولغة الاستثمار.. لا بلغة الاستمرار..

وقد مرت هذه المراحل على عالمنا العربي والإسلامي حاملة أصول أفكار وسياسات ومعلومات وأهداف ومقاصد وغايات تغلغلت بفعل مالك القرار إلى عمق دماء الشعوب ومائها وهوائها، فأحدثت خللاً في الوعي والاستقبال، وضعفاً في القراءة والاستنتاج، وإحباطاً في المواقف والمدركات.. واجتثاثاً للهمم والعزائم، وجموداً في القرائح والاستعدادات، ومات الإنسان المسلم داخل أروقة الثقافة والمعرفة والتربية والتعليم.. ليعيش ولكن إنساناً آخر وبثوابت أخرى يمكن لهذه

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة الحجر : ٩.

الثوابت أن نسميها عربية قومية، أو حضارية استعمارية أو بوتقة مذهبية إقليمية، أو غير ذلك.. لكنها ليست إسلامية بَحتة..

ولهذا فإن الإسلامية العالمية لن تجد مكاناً في هذه الثقافات الجزئيــة.. إلاّ بإعادة ترتيب، وإثارة إحساس، وإجراء عمليات تربويــة ودعويــة عديدة.. حتى يتهيّأ العقل والقلب من جديد لفهم مــدلول « عالميــة الإسلام » وعالمية « الكتاب والسنة »..

إن ضيق الأفق الذي صنعته عقليات الخـبراء الأجانـب في « جيــل القوميات » قد حوّل الكتاب والسنة من عالميتــه الكــبرى إلى ســلاح قومي.. وسلاح فئوي.. وسلاح سياسي، وسلاح حزبي يــستفرغ بــه الفرد في هذه الكتل حقده وكيده وتعصبه المقيت ضــد أخيــه المــسلم والمؤمن.. وصار من الوعي في هذه الكتل بمكــان أن تفــوّج مطــابع الإدارات التعليمية أطنان الكتب والمؤلفات ومنــاهج التعلــيم للبنــين والبنات. حاملة وحامية فكر التشريك والتبديع ومبررّة سياسة التطبيــع والتطويع، مستدلة بكتاب الله وسنة رسوله.. وهذا عين السقوط في تجارة المبادئ.. وهذه الحالة برزت في عالمنا العربي والإسلامي بُعيد سقوط قرار دولة الخلافة.. ومع بدء تطبيع الواقــع الإســلامي والعــربي لــسياسة الاستعمار.

وهكذا ينــزّل القرآن من عالميته في إدارة شُؤون الإنسَانيّة إلى سياسة الفئة والحزب والجَماعة.. وقد يَصلُ أحياناً لما دُون ذلك.

إن الاستنباط من كتاب الله تعالى أمرٌ مشروع، وهذا شأنُ العُلماء الأثبات.. أمثال رجال المذاهب. وباستنباطهم عَرفت الأمة مدلولات القرآن والسنة، وأصّلت المذاهب، وفرعت المسائل، وتوفّرت عبر تاريخ الاجتهاد عشرات بل مئات الكتب العلمية في كل فن وعلم.. ولكن ليس هذا محور حديثنا وتناولنا.. وإنما نحن بصدد ما غيّرته سياسة الضدّ في مجرى الحياة العلمية والجنوح بالمدركات والعلوم إلى نحو من خدمة «التجزئة والفرقة» وإعادة صياغة الأصلين لخدمة الاستعمار والاستهتار والاستثمار.. وغالب وقوع هذا الانحراف بُعيد سقوط قرار الأمة وظهور عصر التحولات الغثائية.. كما أشرنا سلفًا.. وهذه مرحلة جديرة بالدراسة لما جلبته من الفساد في التصور وفساد في التلقي، وفساد في الأحكام وفساد في الثمرات والعلاقات والمواقف.



## المدرسة الأبويّة (الشرعيّة)..
## والمدرسة الأنوية (الوضعية)..

باعتبار التقسيم الأزلي للعباد منذ فجر الخليقة. فقد جعل الله للخير أهلاً كما جعل للشر أهلاً.. وقد تنخفض الرؤية في بعض الأزمنة وبعض العصور؛ لكثافة ضبابية الأحداث فيختلط الأمر على الكثير، ويصعب التمييز بين الأضداد، وخاصة عند تشابه الأحوال الظاهرة، وتمازج المدارس المتنافرة حيناً بفعل فاعل، وحيناً بما تهيّأ من انحدار وضعف في نفوس أهل الحق، وتكاتف وتظافر أهل الباطل..

وعند التمحيص والدراسة يجد المرء أن بالامكان تمييز الفريقين بالتتبع الواعي لمنشأ العلل ومسبّبات التراكم، حيث يظهر بهذا التتبع تسلسل الانحدار المنهجي والفكري للرؤية والمتجَه الأصلي للمنطلقات المحركة مسيرة الحياة..

وقد فعلنا ذلك وبأسلوب متجرد عن الانفعال فاستفدنا من هذا الاستقراء اكتشاف المنابع الأساسية التي ترجع إليها أصول المدرستين مدرسة الخير المشروع، ومدرسة الشر المصنوع. ووجدنا أن مدرسة الخير بدأت بأب البشرية آدم فهو الأب الأول، ومدرسة الشر في الإنسان بدأت ( بقابيل ) بعد أن اتحدت مدرسته الشريّة مع مدرسة إبليس فكان قابيل أول متلقٍ تعاليم الشرية في العالم، وأول منفذ لها؛ بل وأول مَنْفَذٍ عَمِلَ الشيطان من خلاله توسع مشروع الإفساد في الأرض..

فسميت مدرسة الإسلام الحق مدرسة الأنبياء والرسل ومن اهتدى بهديهم وتناسل منهم على منهجهم « مدرسة الأبوّة الشرعية المسندة » أو « المدرسة الأبوية أو المنهج الأبوي الشرعي »، وفيها يقول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً أمة القرآن مقرراً ارتباطها الأبوي بالأنبياء ﴿ **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾[1]. وجعل شرط الأبوة الشرعية إتّباع المنهج، وإقامة العهد وبها يتم تسلسل الارتباط في مدرسة الأبوة، وبدونها ينقطع الارتباط وينفصم التسلسل، قال تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[2]، ومثل ذلك في نوح عليه السلام وولده كنعان فليس العبرة في المدرسة الأبوية بالتسلسل العرقي، وإنما هو بالإتباع للمنهج، وإذا اجتمعت الصفتان فالأمر أتم وأنفع.. كما هو في مطلب زكريا عليه السلام ﴿ **فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾[3].. ويتأكد هذا التسلسل والارتباط في المراحل المتلاحقة رغم تباعد مسافاتها بما جاء في آيات الله من سورة

---

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) سورة البقرة : ١٢٤.

(٣) سورة مريم: ٥-٦.

الأنعام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] وهو الوصف الحقيقي لمدرسة الأبوّة في مسيرة العالم كلّه..

ويأتي مضاداً لهذا الاتجاه الأبوي الشرعي ما سمي بالمدرسة الأنويّة.. وهي مدرسة الشيطان الرجيم، ذلكم الشيطان الذي عبر عن مبدأ التفاخر والتكبر بشرف العنصر والمادة والذات.. مخالفاً للأمر عندما قال مولاه للملائكة: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾[2] وعدّد القرآن نماذج

---

(١) سورة الأنعام : ٨٢-٩٠.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

الإباء الإبليسي.. الذي صار فيما بعد مدرسة الانحراف عن مفهوم الأمر، وسميت هذه المدرسة بالأنوية، لقول إبليس ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ فصارت مدرسة ناريّة إبليسية أنوية وضعية، وباعتبار أن لإبليس في عالم الإنسان حركة وملاحقة وتدخل مباشر، فلا غرو أن بثّ الشيطان مفهوم الأنوية في صدور الناس لإيقاعهم في شر ما وقع فيه.. وهذا الإيقاع يتفاوت بين بني الإنسان، فلربما كان شغل إبليس ( الوسوسة والتربص بالصدور ) وهم عليّة القوم من القادة والعلماء، ووجهاء المجتمعات إذ بإغوائهم والسيطرة على عقولهم وقلوبهم يبدأ سقوط المجتمع الإسلامي من داخله.. وهذا أحد معاني قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ -كما سبقت الإشارة إليه- والصدور في أحد المعاني وجهاء القوم وسراهم وقادهم.. وبفساد قرار الحكم والعلم تفسد الأحكام والمناهج، ويتربّع الفساق والعشاق ومن نحا نحوهم على مقدرات العلم والفكر والثقافة والتعليم[1]..

ولهذا فإن المسيرة الأنوية عَبر التَاريخ قد أسقطت عشرات الأمم في الانحراف الفكري والثقافي والعقائدي؛ بل وسيطرت على جملة من صدور العلماء خصوصاً في أهل الكتاب ليخدموا المنهج الإبليسي داخل دياناهم ومللهم.. ولم يتصدّى لهم على مدى تاريخ الانحراف أحد من الناس ما.. سوى الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم، كما كشف انحرافهم

---

(١) وهذا لا يعني اقتصار الوسواس على الصدور دون غيرهم، وإنما هو ملحظٌ لأحد معاني الآية في تكثيف إبليس شأن الإغواء لأولئك أكثر من غيرهم. اهـ

الحقّ سبحانه وتعالى في تنـــزيله العظيم على لسان نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ بل وبلغ الانحراف الخطير من أهل الكتاب أن تجاوزوا الحدود في علاقاتهم بأنبيائهم، وتجاوزوا الحدود في علاقتهم بربّهم، وهذا القرآن يدمغهم في آياته البينات، ويبرز حجم الصورة الأنوية الإبليـــسية الوضعية التي كـــانوا عليهـــا ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

ويرفع ( القرآن الكريم ) للعالم الإنساني خبر الفريقين مـــن اليهـــود والنصارى في فشلهم الذريع لحمل الأمانة الأبوية الشرعية التي كُلِّفُوا بها، وأنهم أدانوا أنفسهم بأنفسهم في هذا الفشل الذريع، بقوله تعالى حاكيـــاً عنهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[2].

ويترتب على هذه الإدانة الشرعيّة وجوب اتخاذ موقف شجاع أمام ما يدعونه اليوم في مرحلتنا المعاصرة من ريادتهم لمبادئ حقوق الإنـــسان، ومبادئ السلام، ونزع سلاح الدمار الشامل، ودعوتهم لمبدأ الديمقراطيـــة والتعددية.. وحوار الحضارات، وتقارب الأديان، ومـــا شـــاكلها مـــن أطروحات المرحلة الجديدة.. المرحلة المعروفـــة في منـــهجنا الإســـلامي

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة البقرة: ١١٣.

الشرعي «**بالفتنة الرابعة : البكماء العمياء الصماء**»[1] التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكافر، وهي إحدى علامات الساعة.. ولابد من فهمها وفهم ما سبقها من داخل الديانة، لأن أصل ( التفاهم وإقامة العدل ) هي ( الديانات وكتبها السماوية ) وأما ما يتعلق بإصلاح الواقع الإنساني فأمر لا غبار عليه ولا خلاف، فأصل الحوار بين الأمم.. « أصول الديانات » وأصول الديانات: ( كتب الوحي السماوي ).. والأنويون: ( عصبة العمل الإبليسية ) تُعلن فشل الأديان، وتحارب التديّن.. وتضع مبادئها النظرية بديلاً عن عالمية الأديان تحت المبادئ الثلاثية:

**( العلمانية العلمنة العولمة )**

وهذا يبرز جنوحها التام عن محور الحق العالمي المراد في أمر الخالق سبحانه..

وقد تبيّن هذا من خلال المتابعة التاريخية للمراحل الثلاث الأخيرة:

---

(١) سبق تخريجه، والجدير بالذكر أن الفتنة الرابعة العمياء الصماء ورد ذكرها في مسند أحمد (٣٨٦/٥) من حديث حذيفة، قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وأسأله عن الشر وعرفت أن الخير لن يسبقني، قلت: يا رسول الله أبعد هذا الخير شر؟ قال: « يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه » ثلاث مرات، قال: قلت يا رسول الله أبعد هذا الشر خير ؟ قال:« هدنة على دخن وجماعة على أقذار » قال : قلت يا رسول الله الهدنة على دخن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه، قال : قلت يا رسول الله أبعد هذا الخير شر؟ قال: فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار وأن تموت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم ).

**مرحلة الاستعمار:** وهي المرحلة اللاحقة لسقوط قرار الخلافة الإسلامية، وتجزئة العالمين العربي والإسلامي إلى حدود جديدة ترضخ لسياسة الدول المستفيدة من التحولات والحروب.. وكانت منطلقات المرحلة هي القمع والسلب والنهب والسيطرة على الشعوب ومقدراتها، ثم تفريغ محتوى ( الأمّة ) من داخلها مقابل خدمات مادّية، وإصلاحات حياتيه محدّدة أُطلق عليها « البناء الحضاري »، وكانت هذه المرحلة من وجهة نظر الإسلام العالمي ( هي مرحلة إرهاب دولي، واغتيال لقرار الإسلام العالمي )[1].

ثم تلتها **مرحلة الاستهتار،** وهي المرحلة الأنوية الثانية بعد مرحلة الاستعمار.. وهي المرحلة التي برزت فيها كتلتي الصراع العالمي الشرق والغرب عبر الحرب الباردة التي التهمت عشرات المقاطعات والدول العربية والإسلامية لتدخل معركة ( الصراع الطبقي ) وتسمح لقوى ( الرأسمالية الغربية والشيوعية المادية الشرقية ) من اقتسام العالم، وإنجاح أدوار التجزئة والصراع تحت رعاية المجتمع الدولي ومؤسساته الأنوية الإبليسية[2]..

وكانت مرحلة ملطخة بالدماء والإرهاب المسيس، وإرضاخ المجتمعات إلى رغبات وسياسات ( حفنة من عصابات الحرب والمال والسياسة ).

---

(١) أسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بفتنة الأحلاس وفتنة السراء .

(٢) أسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بفتنة الدُّهيماء .

وأخيراً جاءت **مرحلة الاستثمار**.. وهي ما عُرفت بمرحلة الـصحوة، وما يليها من تحولات وتطورات مثيرة.. وقد اتـسمت هـذه المرحلـة بكشف الأقنعة المزيفة، والمساحيق المركبة عن وجوه السماسرة المحلـيين والعالميين.. وانكشف الستار المُسدل على نماذج العمالات المسيسة، وأنها كُلّها تدور في حلقة واحدة، وتخدم المستثمر الواحد بـرغم اخـتلاف مسمياتها ومواقفها.. ونجد ( الإسلام العالمي ) يبرز عملاقاً في صـورته الحقيقية بعد أن عتّم ( الحُكام ومن وراءهم ) بعلم أو بغير علم جوّ المعرفة والتربية والتعليم والإعلام لصالح المستعمرين والمستثمرين..

ووجدت الشعوب المسلمة نفسها في حاجة إلى ( دينها ووحي ربِّها ) كي يفسّر لها الظواهر، ويبرز لها خداع المستعمر والمستثمر الكافر؛ ولكن هيهات.. فالمستفيد من عمايات المراحل لا زال قابضاً على زمام المرحلة، ومستثمراً لكل ما يدور فيها.. وقد بلغ بالعالم إلى طـرح مـشروع « الوسطية والاعتدال » للتخلص من مجموع العمليات المسؤولة عن طـرفي الإفراط والتفريط بعد استثمارها غاية الاستثمار..

وها نحن اليوم أمام هذا المشروع الجديد.. وهـو مـشروع يحمـل نقيضين:

١) الوسطية والاعتدال المسيّس.

٢) والوسطية والاعتدال المشروع.

فالمبدأ ذاته يلزم ساسة المرحلة أن يعيدوا من جديد وجهة النظر في الشرائح والمدارس التي حاربوها أو همّشوها في مسيرتي الإفراط والتفريط؛ لأنها في منهجيتها التاريخية تمثل معنى من معاني الوسطية والاعتدال، فكيف يمكن إعادة استثمارها؟ بديلاً عن المدارس الحاملة مبدأ الاندفاع والانتفاع المسيس.. فالمستثمر لا يعنيه فشل مدرسة أو نجاح أخرى.. وإنما يهمّه الدفع بالمدرسة الفاشلة عند الحاجة إليها لتصعد مراقي النجاح المستفاد منه.. كما يهمّه لفظ المدرسة الناجحة بعد إتمامها دور المرحلة، وإعادة النظر في سلامة منطلقاتها.. وتصبح الوسطية والاعتدال في هذه العملية السياسيّة.. لعبة محكمة الأطراف.. تعود في كل أحوالها لمصلحة (العصبة الإبليسية في العالم) مالكة القرار.. ومستثمرة الحرب والاستقرار..

**إذن ما هو مفهوم الوسطية والاعتدال المشروع؟!!**

إنّه مشروع الإسلام الحقّ، الإسلام الوارث جميع مراحل الديانات والتدين في تاريخ الإنسانية.. ودامغ الانحراف الأنوي الإبليسي الوضعي في كل صوره التاريخية، وواضع المنهج العالمي لقيادة العالم على مراد الله تعالى.. قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

فالصراط المستقيم الذي أُمرت الأمم الإنـسانية بإتباعـه في المرحلـة الأخيرة، هو الإسلام ولا غير.. وهذا أمر من خالق البشر سبحانه، وفيه يقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

فمن هذا الذي ينادي بتجاوز الإسلام وتطويعه وتطبيعـه وتـرويض أتباعه؟.. أليست ( عصبة العمل الإبليسية ) الـتي حاربتـها الأديـان السماوية عبر تاريخ الإنسان.. فكيف يستجاب لها؟؟ وصاحبها يأتي يوم القيامة قائلاً: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].. فالإسلام دين العالمية الحقّه.. وهو الدِّين المهيمن على بقية الرؤى والأفكار والتصورات في الخليقة.. وجدارته مقتبسة من نصوص القـرآن دون غيره، ولا شكَّ في جدارة غيره من سابق الأديان، لولا أن أتبـاع الأديان خالفوا وحرّفوا وعملوا على صرف شعوبهم عن إتباع أنبيائهم، وأخفوا نصوص كتبهم وحرّفوها.. واختاروا لأنفسهم وأجيالهم إتبـاع الشيطان بكذبهم على ربهم وأنبيائهم بإثارة محور الصراع المرحلي المسيس الذي يزج ( بالإنسان ) خارج ميدان الديانة والتدين فصار الكل بهـذا

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة إبراهيم : ٢٢.

الجنوح مدموغاً وغير مقبول.. وخاصة في مسألة العلاقة بالله وتوحيـــده وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومسلمات الأديان التي لا قبول عند الله إلاّ بها.. وهي ما جمعته رباعية الأركان: ( الإسلام والإيمـــان والإحـــسان) باعتبارها أركان بناء الحياة الدينية والدنيوية، ويتبعها الركن الرابع ركن الإيضاح للهدم الإنساني ونقض العُرى وهو العلم بعلامات الساعة وكلها أسس ثابتة في إعادة علاقة الإنسان بالديانة.. وميزان عدل في إبراز موقع الصدق الإيماني في المتدين أو إبراز موقع الكفر والخيانة والعياذ بالله..



## فقه التحوّلات وسنّة المواقف

يُولَد المرء في مجتمع وبيئة ذات عادات وتقاليد وذات شرائح اجتماعية متنوعة.. ويكبر الوليد، ويشبّ الصغير، ويبلغ المميز، ويستقيم عود الشاب لينطلق نحو الكهولة، وهكذا حتى الممات.. وغالب ما يرد على ذهنه وعقله وقلبه ما ألفه وتعوده ممن حوله؛ بل وتبدأ آثار نقل المعلومات، وتحديد وجهات النظر نحو الأشياء قبيل البلوغ من حياة الفتى والفتاة على هذا المنحى المألوف.. وفي هذه الفترة أيضاً تُبنى مواقف الأجيال نحو مفاهيم ورقوم التاريخ وتحولاته، ويجد المرء نفسه منقاداً للحبّ والبغض والمدح والذم حسبما تَلقى أوليات المعرفة والعلم من محيطه الخاص ثم محيطه العام.

ولربما شَعَر المرء بالتناقض فيما يسمعه من والده وأسرته في كثير من القضايا الأبدية والأزلية، وما يسمعه بعد ذلك من معلميه ومدرسيه، وخاصة في المدارس الحديثة، وقد يتسع معه الإشكال إذا اختلط بالشرائح الاجتماعية والفئوية ذات التكتلات الحزبية، وربما حصل المحضور وتغيّر الفرد من حال إلى حال، ومن طور إلى طور..

وتنتقل هذه الرؤى من التكتلات والصراعات لتصبح في عقول القادة والساسة والعلماء إلى مواقف مذهبية أو فئوية أو تيارية تحمل مسمى الحزب، أو الجماعة، أو الكتلة، أو غير ذلك.. يكتب في شأنها ذاك، ويقعد لها غيره.. ويتصدى لنقض عُراها هذا من جماعة أخرى، ويفذلك مفاهيمها آخر.. وهكذا دواليك..

بل بلغت هذه الأزمة في تاريخنا القريب إلى قضية شرعية تصدر بها الأحكام والقرارات والفتاوى كجزء من سنن الإسلام والمسلمين كما هو في مرقومات المدارس الرافعة عقيرة تهمة التشريك والتكفير والتبديع والتضليل، يخطب بها على المنابر، ويقرأ ثمرات مطابعها الجميع، وتفشت هذه العلل والافراطات في مرحلتنا المعاصرة حتى فرقت بين الأب وابنه والأخ وأخيه، وشتت الأسرة الواحدة، والبيت الواحد، والمجتمع الواحد..

ثم ما نلبث أن نجد المدرسة المتبنية لهذ الفكر المسيس تتنصل عن أتباعها وتلامذتها وتتناول قضية الإفراط والتفريط كعلّة من علل غيرها في مرحلة التسييس للوسطية والاعتدال لكي تبرز رائدة له، ومجسده لمعانيه وتطبيقاته.

فما هذا الأمر، وما هو الخطب؟ ومن أين بدأت العلّة؟ وهل ما ينطق به المتحدثون في أرض الواقع هو أصل الديانة والتدين؟ أم رُكام المراحل وحصيلة الصراع بين الأواخر والأوائل؟

هذا ما عشناه وعايشناه، ونبتت عقولنا وقلوبنا على ملاحظته ومشاهدته.. فأين الحقيقة البلجة؟.. والحديث الشريف يؤكد نصاعة هذه الملّة وانعدام القرين لها في سابق الملل والدعوات؛ بل يؤكد القرآن خيرية هذه الأمة بين سائر الأمم.. فهل تكون هذه الأمة خير الأمم وهي على هذه الكيفية من التمزق والتناحر؟.. ثم كيف يبدأ المصلح الذي سئم هذه الحالة.. ومن أين ينطلق ؟ ومَن مِن هذه الدعوات المحتشدة يُتَّبع وكلّ

يتحدث عن سلامة متجهه وفساد غيره؟، وهذا يبرز أو ذاك فساد مرحلته بما لا يدع مجالاً للشكّ أنه يحارب الفساد ولا يبتغيه؛ ولكنّه يستثمره ويصل إليه منه ما يضعفه ويرديه.. كما قال صلى الله عليه وآله وسلم عن ظاهرة (الفساد الاقتصادي) في آخر الزمان « **مَا مِن بيت إلاّ ودَخلَهُ الرِّبَا، ومَن لَم يَدخُلَهُ الرِّبا دَخله غُبَارُه..** »[1].

وأمام هذه المعضلات وما ترتب عليها من قتامة وضبابية في واقعنا العربي والإسلامي، وجدنا بفضل الله وكرمه أن أصول الديانة لا زالت معطاءه.. وأنها تحمل في مرقوماتها الخلاص والمخرج والنجاة لمن ألقى السمع وهو شهيد إلاّ أن إشكال الأمة وضياعها ثمرة من ثمرات تترس حملة قراري الحكم والعلم بمتاريس الطباع البشرية، وتجاوز الآداب الشرعية في شأن المواقف والعزة الممنوحة مما حدا بهم إلى ما هم عليه وما هم سائرون في مستقبل المرحلة إليه.

ولهذا فإن من مرقومات الشريعة التي تحمل معنى من معاني المخرج من الشدة، ومعالجة الانحرافات الطارئة في أمة القرآن التأمل الواعي في رباعية الأركان هذه الأركان التي تحمل فقه الديانة والتدين.. وهي في حقيقتها المرقومة والمأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أركان؛ ولكنّ التعلم والتعليم المنتشر في تاريخنا الماضي والمعاصر

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه (١١٤/٤) وابن ماجه (٧٦٥/٢) .

مقتصر على ثلاثة من أركانها فقط، وهي فقه الإسلام، فقه الإيمان، فقه الإحسان.

وتدرس علامات الساعة كمعلومات إضافية فقط، ونعتقد يقيناً أن الوحدة الموضوعية للحديث أثبتت رباعية الأركان، وأن أركان الدين أربعة:

**الإسلام – الإيمان – الإحسان – العلم بعلامات الساعة**

وبهذه الأربعة الأركان ينتظم عقد الركنية الشرعية للدين، ويفهم السبب المؤدي إلى نقض ثوابت الإسلام والإيمان والإحسان على ألسنة المتنطعين والمتحذلقين. فالركن الرابع من أركان الدين ركن اعتنى بإبراز الهادمين والكاذبين والمنافقين ومن سار سيرهم في تاريخ التحولات المتلاحقة.. ولهذا فإن الركن الرابع يحمل فقهاً خاصاً به يسمى « فقه التحولات » ومادته العلميّة هي مجموع الأحاديث الشريفة التي نطق بها خير الورى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عن مظاهر علامات الساعة، وهي على ثلاثة أنماط:

١- العلامات.
٢- الأشراط والملاحم.
٣- الفتن، والفتن المضلّة.

وقد تناولناها بتفصيل في كتابنا الأصول الأربعة[1]..

(١) كتاب ( أصول الدين الأربعة ) مطبوع للمؤلف .

وأما سنّة المواقف فهي أيضاً إضافة محمودة - إن شاء الله — على ما قرره العلماء من تقسيم السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، إلى:

١) السنة القولية.

٢) السنة الفعلية.

٣) السنة التقريرية.

وأضيف إليها بعد الاستقراء التام لفقه التحولات والتتبع لعلامات الساعة، سُنَّتَان:

١) سنة الدلالة.

٢) سنة المواقف.

أما سنة الدلالة فهي لإثبات ما لم يكن على عهد رسول الله، ولا على عهد صحابته من لاحق المستجدات ذات العلاقة بمدلول السنة وفحواها.. حيث أكثر المتأخرون الجدل فيها تحت هذه القاعدة المستحدثة « هذا لم يكن على عهد رسول الله، ولا على عهد صحابته » لنفي ما يقوم به بعض المسلمين من اجتماع على قراءة سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً، أو زيارات للصالحين، أو احتفال بالمناسبات الإسلامية.. أو غيرها من السنن والمستحدثات المنطوية تحت مفهوم البدعة الحسنة ، ومهمة سنة الدلالة إبراز العلاقة الشرعية بين الفعل المستحدث وبين أصول الشريعة الغراء.. من غير إفراط ولا تفريط.

أما سنّة المواقف، وهي ما نحن بصددها هنا.. فهي ما تقرر من مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومواقف أصحابه وخلفائه أمام مستجدات الفتن والتحولات والأشراط والعلامات. والمعلومة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وأنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسُنّتِي وسُنّة الخُلفاء الرّاشدين المهديّين عضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كُلّ بدعةٍ ضلالة** »[1]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ أَحَيا سُنَّتِي** (أي مواقفي) **عِندَ فَسادِ أمُتِي فَلَهُ أَجْرُ مِئةِ شَهِيد**»[2].

وهذه السنة وإن لم يقررها العلماء السابقون بهذا المعنى فهي جزء من حقيقة الإسلام الذي قرره في هذه الأمة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث أننا عند تتبع معنى الحديث: « **عَليكُم بسُنَّتِي وسُنّة الخُلَفاءِ** » لا نجد فيما بين أيدينا من المعرفة والعلم سنة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة أخرى للخلفاء الراشدين.. وإنما نجد سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم المعروفة بالسنة القولية والفعلية والتقريرية، إذن فمعنى سنة النبي وسنة الخلفاء هي: ( المواقف ) أي مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومواقف أصحابه وخلفائه « **الراشدين** » ( من الرشد ) « **المهديين** » ( من الهداية ) إلى يوم الدين.

---

(١) رواه ابو داؤود والترمذي/ رياض الصالحين .

(٢) أخرجه بن عدي في الكامل (٣٢٧/٢) والبيهقي في الشعب (٤١/١) .

وفي هذا الباب تفصيل مفيد أوردناه في كتابنا التّليد والطّارف في فقه التحولات وسنة المواقف.



# المَعادل الثّالث في أصول الدّعوة ونَشر الإسلام
# ( الأخــلاق النبـويّــة )

من المعلوم أن العلماء -رحمهم الله- قد أصّــلوا ثوابــت المــذاهب، واجتمع رأيهم على تقسيم السنة عند الاستدلال إلى:

سنة قولية، وفعلية، وتقريرية.

ثم أجمعوا على أن أصل الاجتهاد قائم على:

الكتاب والسنة، وزاد كل صاحب مذهب ما يراه مناسباً لمفهومه عن الديانة والتدين، كالإجماع، والقياس، والرأي، وغيره.

أما بالنسبة لمنهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحــسنة، ونــشر الإسلام في العالم، فهناك ثلاثة ثوابت لابد من إنتاهجها مع كل مرحلــة وزمن:

١) كتاب الله.

٢) سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣) الأخلاق النبوية.

ومن المؤكد أن حديث « **مَا إن تَمسكتم به لن تَضلّوا ( كتــاب الله وسُنّتِي )** »[1] هو حديث ضعيف لا يستدل بــه إلاّ في نــواحٍ معينــة.. بشواهد أخرى تؤيد معناه وتعضده. أما الحديث الحامل لثوابت الــصحة سنداً ومتناً وروايةً فهو حديث: « **كتاب الله وعترتِي آل بيتي** »، ومــع

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٩٣) .

هذا وذاك فإن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بلا خـــلاف. وآل البيت من حيث مقامهم الشرعي، واتخاذ مواقفهم حجة تعادل السنة، إنما هي مشروطة بشرط (الأخلاق النبوية) المعادل الثالث.

أما عند انتهاجهم منهج غيرهم من طرفي الإفراط والتفـــريط فيلتـــزم لذواتهم بالأدب والإجلال والاحترام، ولا يلتزم لتأثرهم بمنهج الإفراط أو التفريط.. ولهذا فإن ( المعادل الثالث ) وهي ما عُبِرَ عنها بأخلاق النبوة تعدُّ عاملاً مهماً في إنجاح الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله.. ولهـــذا الاستدلال شاهد قرآني: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1].

فالآية الكريمة أبرزت المعادل الثالث بوضوح.. وهي النبوة، والنبوة في معناها المشار إليه هي ( الأخلاق النبوية ) التي أبرزتها مواقف حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منهج الدعوة إلى الله منذ بداية الإسلام والتي أثنى الله بها على نبيه عليه الصلاة والسلام في قولـــه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]..

---

(١) سورة الأنعام : ٨٩-٩٠.

(٢) سورة القلم: ٤.

فدعوة الكتاب والسنة من غير أخلاق جنوح وتعدٍّ وتطرف، وهذا ما فعلته كثير من الجماعات الإسلامية في سابق التاريخ ولاحقه حيث تعسفت النصّين ( الكتاب والسنة ) لصالح الانحراف، والملك العضوض، والخروج على أئمة الهدى.. ثم استحلال دمائهم، ودماء المسلمين، وانتزاع سلطة القرار والحكم به، واستثماره للمصالح الذاتية.. جاهاً وسلطةً وامتلاك.

وعلى هذا الملحظ الهام يدعو الإسلام كافة رجال المذاهب المتناحرة الارتقاء من مستوى حضيض النفس والهوى إلى ( مستوى مفهوم القواسم المشتركة ) هذه القواسم التي ترتقي بهم فوق فهم المجتهد للنص الشرعي المختلف عليه.. وسنفصل هذا المدلول في الفصل الآتي.



## مبدأ القواسم المشتركة بين أمة الإسلام

هناك الكثير من مسائل الائتلاف التي تتفق عليها أمة الإسلام بعمومها، وأما ما يختلف عليه فهي مسائل محددة وقليلة.. وإذا افترضنا أن هذه المسائل القليلة يراها البعض أساسيّة وموجبة للاختلاف مع الرأي الآخر باعتبار الدليل.. فإن مادة ( الأخلاق الإسلامية ) التي كان عليها من لا ينطق عن الهوى هي أحق بالإقتداء، وهي أولى بالإتباع مع المخالف؛ لأن الإسلام كله إقتداء بالمتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، بأمر الله تعالى في قوله: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[1] والإقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المسألة لا يعني قبول الرأي الآخر أو الانطواء فيه. وإنما تجاوز مسبّبات التصادم واقتناص العلاقة العامة لخدمة مبدأ الاجتماع في الإسلام.. وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يهادن المنافقين، ويقبل وجودهم في مسجده وجهاده، ويقبل مخالطتهم إياه، ويؤدي ما عليه من واجب عام نحوهم مع علمه صلى الله عليه وآله وسلم بمواقفهم ومعارضتهم.. ولما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شأن بعض أهل النفاق « دَعِني اضرب عُنقَهُ » لمّا اعترض على قسمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهوازن، فردَّ عليه صلى الله عليه وآله وسلم: « **لا يقول النّاس أن مُحمّداً يَقتل أصحَابه** ». فدلّ على اهتمام النبي صلى

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١.

الله عليه وآله وسلم بوحدة الصفّ، وتمتين الجبهة الداخلية، ولو بالـصبر على المخالفين المنازعين، ليستفيد من ذلك إخراس المتربصين بالرسـول وديانته.. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل بينه وبين المنـافقين صورة معينة لقاسم مشترك سماه « الصُحبة » مع أنها لم تكتمل شروطها؛ إلاّ أن النبي صلى الله عليه وآلـه وسـلم اعتبرهـا قاسمـاً مـشتركاً لتستمرالمعايشة والمخالطة.. بالأخلاق الإسلامية.. والذين يعتبرون سلوك النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصّاً به أو بعصره فهؤلاء يتجـاوزون بعلم أو بغير علم معنى الإقتداء والاهتداء بالمواقف، ويتخذون لأنفـسهم سنناً ومواقفاً في المعاملة يستنبطونها من أهوائهم ورغباتهم وتعصّبهم.. مع أننا لا نغفل هنا مسألة التفرّد لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخصوصياته في بعض الأمور؛ ولكنّ الإقتداء بـه في شـؤون المعاملـة والمواقف مع الخصوم جزء من سنة المواقف التي سبق تناولها.

والقواسم المشتركة مبدأ نَهَجَه سيّد هذه الأمة منذ أن بعثه الله تعـالى لإصلاح هذا العالم.. وكان يعامل به كافة أجناس البشر وليس المسلمين فقط، واستطاع به أن يعامل كفار قريش ومـشركي العـرب وأهـل الكتاب، وكان لكلّ قوم من الأقوام معنىً خاصاً بالقواسم المشتركة التي ينطق من خلالها صلى الله عليه وآله وسلم، ويلزم أصحابه قبول مواقفـه والإقتداء به لينالوا نصيباً من الأخلاق الشرعية، ويطوّعوا أنفسهم علـى

قبول الآخر ضمن أُطر معينة، وضوابط محدّدة؛ لإبراز عالمية الإسلام وشمول نظرته للآخرين..

ونحن هنا بصدد الحديث عن ( قواسم الأمة ذاتها ) ولسنا بصدد التعامل مع الكفر والكافر.. وإن كانت آيات العصر الحديث قد قلبت المعاملة رأساً على عقب فجعلت جسور الصداقة بين مسلمي المرحلة والكفار أقرب بكثير من جسور المعاملة بين المسلمين أنفسهم.. وهذه علّة لها أسبابها ونتائجها، ومن أسبابها امتلاك الكفار قرار الأمة، ومن نتائجها تقارب وجهات النظر، والمصالح الدنيوية بين مالك القرار ورعاياه الماديين، وتباعد وجهات النظر والقواسم المشتركة بين حملة الحكم والعلم والشعوب. وهذه أشد العلل انتشاراً وتأثيراً على حال الأمة ومواقفها وللأسف ..

ولهذا فإن من واجب العلماء والعقلاء من الحكام ومنفذي قرار العلم والديانة.. أن يقدروا للأمانة قدرها، فيعملوا ما استطاعوا على إعادة لحمة العلاقات الإيمانية بين المذاهب والجماعات على أساس من مفهوم ( القواسم المشتركة ) ويجعلوا قدوتهم في إقامة هذا المبدأ (مواقف صاحب السنة صلى الله عليه وآله وسلم) حيث لا يقتدى إلاّ به ولا يهتدى إلاّ بهديه..

وكما يحتج المذهبيون وعلماء الفئات والجماعات بالكتاب والسنة كدليل على فساد منهج أو بدعية سلوك عند الآخر، فإن من واجبهم

الشرعي أن يقتدوا بصاحب الكتاب والسنة في حُسن أخلاقه ومعاملته مع أضداده وأعدائه.. فضلاً عن إقتدائهم به في معاملته مع من في حظيرة الإسلام ذاتها.. وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1]..

لقد طَغَى التعصب على المسلمين في أخريات الزمان، وانتقل بهم إلى نوع من الأنانية وحبّ الذات، والانقطاع عند المفاهيم الخاصة التي نشأت وتكونت بفعل الظروف التاريخية والظروف المرحلية.. وخاصة مرحلة « **الغُثاء** » التي عبّر عنها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم.. هذه المرحلة التي أفرزت للعالمين العربي والإسلامي « **داء الأمم** » التي قال عنها صلى الله عليه وآله وسلم : « **أصابكم داء الأمم**، قالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟، قال: **البغضاء والحسد، لا أقول حَالقة الشعر ولكنّها حَالقة الدِّين ألا أدلُكم على شيءٍ إذا فَعلتمُوهُ تَحاببتم أَفْشُو السَلام بينكم** »[2].

والسلام من معانيه إحياء مبدأ القواسم المشتركة.. وفي إحيائها إماتة لبدع كفرية وجاهلية نشأت في مرحلة تسلط القرار الكافر على بعض

---

(١) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٧٤،٧٣) وأحمد في المسند (١/١٦٤، ١٦٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٣٩٣) .

مقدرات المسلمين الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والإعلامية، وحشرهم جميعاً في قواسم إجبارية ليخدموا بها هذه الهياكل الأجنبية حيثما عملوا وعلّموا وتعلموا، بينما تفرقت مواقفهم في دينهم وشرعتهم، وكَوّن العدو لهذه الحرب الخلافية بؤراً ومؤسسات ودولاً تأتمر بأمره في شؤون، وتنفذ سياسة مبادئه في شعوب الإسلام..

إن أحاديث السلام في الإسلام تفتقر إلى وقفة واعية ليفهم الفرق بين النص النبوي وبين سلوك إتباع الرسالة، فالحديث الشريف الذي رواه مسلم يربط بين الإيمان والمحبة وبينهما وبين دخول الجنة وبدون هذا التلازم يحرم المسلم الجنة لمخالفة مبدأ السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشو السلام بينكم** »..

ولإكمال معرفة ( المرحلة الغثائية ) نضع في الفصل القادم بعض ظواهرها..

حيث تناولت السنة الشريفة الإفصاح والإيضاح عن هذه المرحلة بتفصيل ضمن أحاديث علامات الساعة.. وهي كما سبقت الإشارة إليها « الركن الرابع من أركان الدِّين » ومادة هذا الركن الهام هي « فقه التحولات »..

ومن فقه التحولات التي تحدّث بها صلى الله عليه وآله وسلم «المرحلة الغُثائيَة » وقد تحدّدت بالاستقراء والمتابعة الشَرعيّة والتاريخية بمرحلة سُقُوط قَرار الخلافة الإسلامي، وبالتحديد ( تنحية السلطان عبدالحميد الثاني ) وإعلان الدولة العلمانية التي ترتب على بروزها تجزئة العالم العربي والإسلامي إلى قوميات، ثم شمول المرحلة الاستعمارية بالحربين الأولى والثانية، وما ترتب عليها من نفوذ وتكتل دولي مع ضعف في العالمين العربي والإسلامي، وتمزق واستتباع بعد ذلك برامج أَكَلة القَصعَة كما سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم. في الحديث: « **يُوشِكُ أن تَداعَى عَليكُم الأمَم كَما تَداعَى الأَكلَةُ على قَصعَتِهَا**، قالوا: أمنَّ قِلّة نحن يا رسول الله؟، قال: **لا أنتم يومئذٍ كثير ولكنّكُم غُثاءٌ كغثاءِ السيل يُلقَى عليكم الوَهَن**، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: **حُبُّ الدُّنيا وكَراهَية الموت** » وفي رواية : « **وتُنزَعُ المَهابةُ من صُدورِ عَدوكِم...** »[1].

وهذا الحديث الشريف يعد دلالة واضحة على أمور:

١- تنبؤه صلى الله عليه وآله وسلم بتداعي الأمم وتأمرها على المسلمين.

٢- سبب التداعي الرغبة في الاستيلاء على الثروات، ومواقع النفوذ.

٣- الأمة كالغُثاء. كثرة في التعداد السكاني، وشتات في القرار.

---

(١) سبق تخريجه.

٤- « **يُلقى** » بصيغة المبني للمجهول.. أي يدخل عليكم حبّ الدنيا، والتعلق بها من خارج الإسلام والديانة.

٥- **الوهن**.. الضعف الباطن والظاهر بسبب التعلق القلبي بالدنيا وآمالها وأعمالها وشهاداتها وصناعتها والاستقرار المادي الصوري الذي هيئته مراحل الاستعمار والاستثمار في الواقع العربي والإسلامي..

٦- « **كراهية الموت** ».. رفض المسلمين الدفاع عن محارمهم وإسلامهم وديانتهم، وقبولهم الصداقة مع الكافر، وتنفيذ برامجه وتبرير هذه المواقف بالرغبة في السلام والتعايش مع الكفر والكافر تحت مسمى حقوق الإنسان.

٧- « **تنزع المهابة من صدور عدوكم** ».. جرأة العدوّ على اختراق صفوف الأمة، وإعادة ترتيبها لتدور في فلك العلمانية والعلمنة والعولمة.

وهذه العلامات كلّها تحدّدت في ( أمة القرآن والسنة ) مع بدء هذه المرحلة.. حتى اليوم.

وقد تناولنا[1] كافة مظاهر هذه المرحلة الممتدة من عصر التآمر على الخلافة والرقعة الإسلامية حتى نهاية مرحلة الفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء التي تبيّن أيضاً بالاستقراء أنها المرحلة المعاصرة.. وتنقسم المرحلة الغثائية إلى أربع فتن متلاحقة:

---

(١) في كتابنا التليد والطارف في شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف فليراجع.

١ - فتنة الأحلاس.

٢ - فتنة السرّاء.

٣ - فتنة الدُهَيماء.

٤ - الفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء.

ولكل فتنة من هذه الفتن ظواهر خاصة وعلامات تبرز حضور المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في استقراء حوادث آخر الزمان بيقين تصديقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: « **بعثتُ أنَا والسَاعةُ كهَاتَين** »[1]..

وقد فصَّلنا هذه المرحلة المشار إليها في الحديث بالمرحلة الغثائية..

وهذه المراحل الثلاث ( هي مرحلة الغُثَائيّة ) المعبّر عنها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما ما سيأتي بعدها من حوادث التحولات فقد أودعناه في كتابنا المشار إليه (بالتَّليد والطَّارف في شرح فقه التحولات وسنن المواقف).. ففيه التفصيل الملائم إن شاء الله تعالى.. وفَوق كُلّ ذي عِلمٍ عَليم.



(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٢٢فتح)، ومسلم في صحيحه (٢/٥٨١) والترمذي، (٦/٣٨١تحفة)، وأحمد في المسند (٣/١٢٤).

# المُــثَلّــث المــدمــوج..
# ودوّره في بناء جيل الوسطية الشّرعية والاعتدال الواعي

برز في الآونة الأخيرة شعور غريب في العالم، شعور نحو مسألة الحــدّ من منطلقات التطرف والإرهاب.. وأيّاً كان السبب المؤدي إلى بــروز هذه الظواهر فإن الإعلام ومن وراء الإعلام من محرّكي القرارات العالمية، حولوا مسألة العنف، واستخدام السلام في الحــصول علــى الحقــوق والحريات.. قضية غير مشروعة.. ولابد من تصنيفها تــصنيفاً سياســياً يحمل « مفهوم التطرف والإرهاب ».

ولأن أمّة الإسلام في مَرحلتنا المُعاصرة لا تَملك من الأَمر شيئاً غــير الحسبلة والحوقلة والحسرة على ضياع قرارها واستقرارها.. ولأن أمرهــا في كل شؤونها بيد حكامها ومــن دار في دائــرهم.. فالحالــة صــعبة وتشخيصها أصعب وأصعب.

والخَلاص من هذه الورطة يتطلّب من الشعوب ذاتها أن تعي خطورة المرحلة.. وأن تعيد ترتيب نفسها حَسب الإمكان والظُــروف، ويبــدأ الترتيب غالباً من داخل المُجتمع وإصلاح مُنطَلقاته..

فإن هيّأ الله حملة القرار لرعاية هذا الترتيب فالخير يعم ويتسع، ويبلغ مداه.. وإن لم يتهيأ من حملة القرار من يحتضن ترتيب الــشعوب فــإن المسؤولية لا تسقط بذلك.. بل يجب العمل الشعبي الــواعي خدمــة لله ورسوله والمسلمين من غير إفراط ولا تفريط ولا تحريض ضد قــرار ولا مشاركة في ظلم.. ومن أهم شروط ترتيب الشعوب الاعتنــاء بالبنــاء

التعليمي والتربوي والدعوي.. سواء ضمن المؤسسات الرسمية أن تهيأ ذلك.. أو ضمن المؤسسات الشعبية ذات العلاقة بالمنهج الأبوي المسند..

وقد أدت هذه المدارس الشعبية عبر تاريخ الأمة دورها الأبوي بتماسك وثقة، وعاد عائدها على الأوطان بالسلام والخير والأدب والاطمئنان في فترة محددة ومعينة قبل سقوط القرار وبعده بقليل قبل شمول مرحلة التطبيع الاستعماري[1].

ولأجل أن يتعرف التربويون المعاصرون على أسس البناء الشرعي «لإنسان الوسطية والاعتدال المشروع» عليهم أن ينظروا في أسس وثوابت العمليات التعليمية والتربوية التي نُشّئ عليها جيل المسلمين عبر تاريخ المدرسة الأبوية الشرعية..

إنه المثلث المدموج..

**التعليم + التربية + الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة**

وقد كانت غالب مدارس الإسلام في العالمين العربي والإسلامي على هذا المنهج الثلاثي، ما سوى القلة القليلة من بعض المدارس الشاذة..

والشذوذ في مراحل دولة القرار كان محجماً في دوائر معينة ومحاصرة.. ولكنّه بُعيد مرحلة سقوط القرار اتخذ منه المحركون لفتن المراحل رأس حربة لشقّ صَفّ المدرسة الأبوية الشرعية حتى صار الشذوذ قاعدة

---

(١) يمكن الإطلاع على كتاب ( الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية ) للمؤلف مطبوع .

المرحلة، ومنهج أتباعها.. ولأننا هنا لا يعنينا مسألة المواجهة للشذوذ أو تفصيل تطوراته، فإننا نكتفي بتذكير الراغب في معرفة الحق من خـــلال الإشارة والملاحظة.

والمثلث المدموج المشار إليه هنا يمكن به إعادة ترتيب الجيل بـــشرط المعلم والمربي والداعي المخلص المتخذ من هذه العمليات قضية مـــصيرية، وليست مجرد وظيفة حكومية، حيث يكمن نجاح المنهج الثلاثي بكونـــه قضية ومصيراً يتبناه المعلم والمربي والداعي؛ لإحداث بناء شرعي في نفس المتلقي يعرف به وظائفه الأزلية في الحياة وما بعد الحياة..

والأمر الآخر في إنجاح المنهج الثلاثي.. تحييد العمليـــات التعليميـــة والتربوية والدعوية عن ( التسييس الحزبي والفئوي ) مع ترسيخ حـــب الوطن والدفاع عن المبادئ الإيمانية العليا، دون الولـــوج في الـــصراعات الحزبية والتيارية المتنازعة في الوقع المعاصر.. ومثل هذا التحييد لا يمنـــع الشباب بعد مرحلة التخرج من ممارسة العمل السياسي والفئوي الواعي الخلّاق.

والأمر الضابط لهذا التحييد هو إعداد المنهج الملائم لمثل هذه الرؤيـــة، وتجهيز المدرس المسؤول عن تنفيذ المنهجية العلميـــة التربويـــة بقناعـــة وإدراك..

لقد أبرزت عمليات الفصل المتعمد بين التربية والتعليم والدعوة إلى الله فشلها الذريع في « إيجاد الإنسان المتناسب مع مطالب البنـــاء الحـــضاري

المتنامي » بل ربما تكون هي المسئولة مسؤولية مباشرة عن إنجاح المشروع الاستعماري والاستهتاري والاستثماري في مرحلة الغثاء المنمنهج. هذا المشروع الذي وظَّفَ طاقات الشباب، وإمكانات الإدارات، ومواقع العمل؛ لتخريب الأبنية العلمية والاقتصادية والتربوية والصناعية في الوطن العربي والإسلامي خلال مرحلة الحرب الباردة بين قطبي الصراع العالمي « الرأسمالية والاشتراكية » وبين كتلتي الصراع السياسي ( العالم الغربي والعالم الشرقي) وما نتج عنهما من إفرازات قلبت المنطقة بكاملها رأساً على عقب..

وأيّاً كان حجم المأساة فإنّ الإسلام يَرسمُ التفاؤل، ويحيي الفَسائل، متى ما توجهت القُلوب والقوالب إلى صدق الخدمة للأمة لضوابط الملّة وثوابت الدين..﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].. والتوجه المنشود في هذه المرحلة.. هو العمل الواعي في كافة أُطر التربية والتعليم المعاصر على إعادة توزيع الثلاثي المدموج في كافة مراحل الدراسة بدءاً من إعادة الكتاتيب (المعلامات) بأسلوبها التقليدي في تلقين العمليات الأولى من المهارات القرائية الجامعة.. مع الإعتناء التام بالأقسام الداخلية للطلاب والطالبات ووضع المنهج اللاصفي المتكامل أساساً في رعاية هذه الأقسام خاصة في ما يتعلق بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة

(١) سورة الأنعام: ١٦١.

الحسنة. وهذا يتطلب الإعداد المناسب والمعلم المناسب والمنهج المناسب..
فهل من مستجيب ؟.



# أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر[1]

كان الحُضور النبويّ مع المَراحل المتقلبة فورياً وسريع المعالجة، كما أنه دقيق التشخيص، ولمجرد التأمل الواعي في سعة المفاهيم النبوية يتعرف المرء على مفهوم العالمية في لغة الحديث الشريف، كما يتعــرف علــى لغــة الواقعية، وشعبيّة الرؤية، وسعة المدلول..

ولعل هذا الحديث الشريف في موضوعه معانٍ تتلاءم مــع مرحلتنــا المعاصرة إذا ما فهمنا مقاصد الشريعة عبر التحولات والتقلبات..

فالجهاد هنا يحمل معنىً جديداً يختلف تماماً عن لغة المعارك، وحمل السلاح، يؤكده إمام الملّة بلغة الأفضلية.. أمام غيره من المعاني المألوفة، وهذا يشير إلى أن ( مفهوم الجهاد ) غير محصور فيما يحرص عليه الكثير من الناس من مسألة القتال والحروب ومجرد الزج بالأرواح في كل معتركٍ وفتنةٍ، فالكلمة الحاوية على مدلول الحق ونصرته.. هي أيضاً وسيلة جهاد.. واستخدام اللسان الصادق في معالجة الأزمات سلاحٌ ماضٍ في تشييد مباني الديانة والتدين، ويحدّد ( رسول الحكمة ) مشكلة المراحل، وما يتطوّر فيها من مستجدات تعطل بعض وظائف ( الجهاد الشرعي ) لسبب أو لآخر؛ لكنّ المدلول للجهاد لا ينقطع ولا يتجمّد عن ( السيف والمعركة ) بل يتسع داخل ( مرحلة السلطان الجائر ) لإثبات الحقّ أو لدرء الباطل..

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٩/٥) والترمذي (٣١٨/٣) وابن ماجه (١٣٢٩/٢) .

وفي أحد معاني الحديث أن « **السُلطان الجَائر** » هي **المرحلة** التي يسقط فيها القرار، فلا تجد الأمة في مثل هذه المرحلة من يصدر قرار الحرب أو الجهاد في الأمة لتفرقها وتمزقها، وانتقال القرار إلى عدوّها، ففي مثل هذا الجور المرحلي تبقى « **كَلمة الحقّ** » معنىً من معاني الجهاد إذا وظفت توظيفاً سليماً.. وأسهمت في تماسك الأمة، وجمع كلمتها، وتُعَرفُ معاني « **كَلمة الحقّ** » ومعادلتُها للجهاد بالسلاح بما تُحدثه ( كلمة الباطل ) من أثر ودمار، وقد قدّر القرآن هذا المعادل، وشنّع على ألسنة الباطل المحاربة بالكلمة الخبيثة موقفهم، فقال في حق المنافقين:﴿ **لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[1].

بل واعتبرت الشريعة الغراء « كلمة الخير والحق » تبلغ العبد إلى مراتب العلو والرفعة عند الله « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات** » اهـ[2]..

كما اعتبر كلمة الباطل توقع العبد في شر أعماله « **وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالاً يهوي بها في نار جهنم** »[3]..

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٧/٣١٠ منتقى) والبخاري في صحيحه (١١/٣٧٣فتح) .

(٣) رواه البخاري.

وفهمنا لمعنى الحديث « **أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عند سُلطانٍ جائر** » لا يعني تعطيل مبدأ الجهاد واستبداله بالكلمة وحدها.. وإنما نضع كلمة الحق في مناسبتها كما يوضع السيف في مناسبته.. حيث لا عوض بأحد منهما بديلاً عن الآخر.. وهناك دلالات شرعية تؤكد ذلك حيث نجد نبي الأمة صلى الله عليه وآله وسلم يستخدم جهاد الكلمة في أكثر من موقف.. وفق ما يتطلبه الظرف والحالة.. كما هو في ( غزوة الحديبية ) عندما وظّف الكلمة حتى في الكتابة للمعاهد، ونزوله عند رغبة المشركين في تغيير بعض الألفاظ لا تنازلاً، وإنما جزءاً من موقف مرحلي.. برغم ما أصاب أصحابه من الغم والهم، وهم يحملون سيوفهم جاهزين للجهاد في سبيل الله؛ ولكنهم فوجئوا بموقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فهمه للأمر واتخاذه للموقف، ومع هذا وذاك فقد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في طريق عودته من الحديبية تأكيد مولاه بالنصرة له ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾[1] وإذا كان رسول الله وهو يُوحى إليه يتخذ مثل هذا الموقف الشجاع، فما بالنا لا نريد حتى أن نتفهم هذه المواقف، وندرسها على صعيد الواقع المعاصر، ثم نتخذ القرار المناسب..

إن لغة ( الحديد والنار ) التي غزت مرحلتنا الجائرة، وكانت في داخل أوطان الأمة سبباً في ( صراع القوى المحلية ) نقلت مدلول الجهاد

---

(١) سورة الفتح : ١.

الشرعي إلى قضايا ( التسييس ) والتكتل الفئوي.. وأسهمت في إضعاف الروح الجهادية الشرعية، ونزعت بالراغبين في السلامة من الحـــروب أن يحوّلوا بطولات الجهاد في سبيل الله إلى بطـــولات الرياضـــة والمـــسرح والتلفاز، وجعلوها جزءاً من الانتصارات الوطنية والقومية التي يفاخرون بها في مرحلة الغثاء والوهن..

ومرحلة الغثاء والوهن « مرحلة السلطان الجائر » لا تـــستطيع الأمـــة خلالهـــا نـــصرة الحـــق.. ولا درء الباطـــل كمـــا هـــو مـــشاهد في ( قضية فلسطين ) وغيرها.. فكلمة الحق في مثل هذه المرحلة تعتبر مثالاً بطولياً أمام تخاذل الأمة بعمومها حتى في ( أسلوب الكلمة )..

وللكلمة مع السلاح موقع لا يستهان به في نصرة الحق وأهله.. والعلّة القاتلة هي جبانة ( الفرد ) أو ( الجماعة ) أو ( النظام ) عن الجهاد بكل معانيه.. لتحل محلها.. العمالة والخيانة والتخـــاذل والتـــواء المفـــاهيم، وإسقاطها في حضيض الرضا بالهوان والذلّة.

إن الكلمة الناطقة بالحق في عالمنا المعاصر داخل الإعـــلام والتربيـــة والتعليم والقضاء والثقافة والصحافة... الخ - والمقصود بالحق ( اللـــسان المعبرة عن مراد الله ) - جهاد لا يساويه جهاد.. فالغالبية العظمى مـــن جيل الإعلام مضللون بالكلمة الخبيثة التي عبر القرآن عـــن فـــشلها في

صياغة الحياة المستقرة.. فقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(١)..

وإذا كنا حقاً عاجزين ( في مرحلة السلطان الجائر ) أن نحدد مصدر قرارنا في الجهاد الشرعي العالمي ضد عدونا التاريخي، فلماذا لا نحدد وجهة نظرنا في فهمنا لمنطوق الحكمة النبوية؟.. فنصلح دور الكلمة معبرين عن الحق حيثما كنا واستطعنا.. وبالكلمة الحقة.. نبني جيل المعرفة للحق.. ونهيئ للمستقبل مرحلة القرار.. والحرب مع العدوّ التاريخي واقعة لا محالة.. لأنها قد بدأت منذ سنوات طويلة من جهته بعدة نماذج.. فإذا كانت أسلحته المدمرة تجتث مظاهر الحياة في أنحاء من بلاد الأمة الإسلامية فإن كلمته الخبيثة تمهد لمعركته القادمة في كل موقع من مواقع حياتنا المعاصرة.. مع مقابلتنا لهذه المعارك بمزيد من الغباوة والسذاجة والتغافل المزري..

ولكلّ شيءٍ أوَان كما أنَّ لكُلّ أجلٍ كِتاب..



(١) سورة إبراهيم:٢٦.

## الوقـاية خير من العلاج

لا شك أن مبادئنا الإسلاميّة تعود إلى الحياة برغم ما قد مـات مـن استعداداتنا.. تعود لأنها جديرة بالحياة، وجديرة بتجـددها مـع كـل مرحلة.. ولكنّ المصيبة في الإنسان.. أنه مخترق من كل الوجوه، ومحاط بالمؤامرة الشيطانية من كل اتجاه.. وكأني بالقسم الإبليسي ساعة تحـدي الشيطان أمر السجود، في قوله: ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ** ﴾[1].. قد أتى أُكلَهُ وحقق مطلبَهُ.. وهذا ما تشهد به الوقائع، وتبرزه الأحوال..

وإذا ما نحن وجدنا من شرائح المجتمع من يفقه الإشـارة، ويرغـب الإدراك فتجرد عن الآثار المريبة، والمفاهيم الغريبة، فإننا نضع مبـدأ لـه ولغيره ( الوقاية خير من العلاج ) كأحد مبادئ الإسـلام في معالجـة سلبيات المرحلة.. وما ترتب عليها من آثار وتصورات ومواقف، ويرتفع هذا المبدأ من حضيض الحالة المعاصرة إلى أوج الأمل المرتقب لبناء حياة إنسانية أفضل..

إن وضع الحواجز ذات العلاقة بمفهـوم الـضوابط أمـام الناشـئة، والشباب، وإحسان استخدام الضبط والربط والإحساس بالمسؤوليّة مـن جهة، ورسم صورة التفاؤل والابتسامة الهادفة من جهة أخرى حـسبما رقمته آداب الشريعة الغراء، شريعة البناء الأخلاقي الرباني راعية الفطـرة

---

(١) سورة الأعراف: ١٧.

التي فطر الله الناس عليها، وهي السعادة بعينها.. حيث أن الكوابح والمنبّه[1] ومثلهما في عربة القيادة ما وضعت إلاّ لتجسيد مفهوم الوقاية على طريق الانطلاق.. وبحسن استخدام هذه الوسائل تتجنب الرفقة آفات الطريق الطويل.. كما ترسم معنى المسؤولية المعتبرة لفن القيادة..

لقد خلق الربُّ الحكيم إنساناً متفرداً عن بقية مخلوقاته.. وكرّمه وأكرمه؛ ليكون نموذجاً في الخلافة وخليفة في النماذج، و لم يتركه وحده في عواصف الكون، ورياح الأزمنة؛ بل سخّر له كل شيء، وعلمه كل شيء، وانزل له العلم بكل شيء يناسبه ويحتاج إليه.. وكان هذا كله تجسيد مبدأ الوقاية.. حتى لا يتخبط المرء في طريق الانطلاق فيصيبه ما أصاب الأمم التي فسدت وأفسدت. فمنهم من أدركه العلاج فاستقام وعاد إلى التمتع بالحياة.. ومنهم من أخذته عواصف الدمار فشرق بالموت قبل ذوق لذة الحياة..

إذن فما الذي يدفعنا للمغامرة على طريق الانتحار!.. لماذا لا نأخذ بالحيطة والحذر.. ونتأنى في وضع أقدامنا، ونحاسب على موقع خطواتنا المتلاحقة.. ونأخذ بأيدي من استخلفنا الله على رعايتهم، وإنقاذهم من نيران المصير الأبدي؟

---

(١) **الكوابح**: قوة الايقاف للسيارة عند سيرها، **والمنبه**: الصوت الصادر من جهاز التنبيه.

إن الشيطان يمنّي البشرية بالسلامة، وهو يقودهم إلى هاوية الجحيم ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[١]، والبشرية منطلقة بغرائزها ورغباتها نحو إعصار الشهوات واللذائذ مستجيبة لدواعي الجسد وثورة العاطفة.. تلك الشهوات والعواطف التي يؤججها ( الشيطان ) بإغرائه وإغوائه ليكسر حاجز الوقاية نحو تجربة اللذة الحرام.. ولتكون الكوارث..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢]..

إن إحياء مفهوم ( الوقاية خير من العلاج ) وتمكين جيل الأمة من تجرع مرارة الصبر على التسليك والتأديب، والضوابط والمسؤولية، وإبراز خطورة المغامرات الذاتية والجماعية نحو المحضور على أي صفة كان أو صورة مغرية أو مؤثرة.. بداية مرحلة جديدة، مرحلة تبشر بالتفاؤل من داخل أقبية الوقاية.. ولن تحتاج أجيال الوقاية إلى أسباب العلاج إلاّ لتمد به الغارقين في حمأة الانحدار والضلال والإضلال.. تلئم جراحهم، وتدمل خراجهم..

وهكذا يكون العدل (في مباديء الإسلام والإيمان والإحسان) .

---

(١) سورة فاطر: ٦.

(٢) سورة البقرة: ١٦٨ - ١٦٩.

# قَبض العِلم ، وقبض العُلماء واتخاذ الرؤوس الجهّال

حَرَصَ الإسلام على إيضاح مسلك الأمة، وإبراز الأخطار المحيطة بها عاجلاً أم آجلاً.. ومن أشد ما اعتنى به في هذا المضمار هي ظواهر المراحل..

والمقصود من الظواهر.. هي افرازات التحول المرحلي وما يجري خلالها من ضعف وفتن وتعَثرات، إما من داخل الخيمة الإسلامية أو من دسائس ومؤامرات أعدائها في أهلها..

وقد فصّلت السنة الشريفة « هذه الظواهر » تفصيلاً واضحاً، واعتنت أيّ اعتناء، بظاهرة « قَبضِ العِلم » وما تحمله هذه العبارة من المعاني البعيدة والقريبة المفسّرة حقيقة المُراد الذي يَرمي إليه صَاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه في الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقى عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ فضَلوا وأضّلوا** »[1] ص ٥٢٧ رياض الصالحين وفي رواية أخرى: «**يقبض العلم ويكثر الجهل**»[2]..

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧/١) ومسلم (٤٦٣/٢) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ : (( من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل.. )) الحديث .

والقبض في لغة العرب، يحمل أكثر من معـــنى، وفي ربطـــه بمـــدلول الحديث المعبر عن آخر الزمان يفهم من القبض ما يلي:

١) موت العلماء وذهابهم، واتخاذ الناس من بعدهم رؤوساً جهالاً.

٢) انقباض العلماء في بيوتهم لما يصاحب الزمان من الفتن المضلّة.

٣) قبض العلماء في ( إدارات ووزارات ) تلزمهم السير وفق السياسة.

٤) قبض العلم، تحوله إلى مفاهيم مقبوضة ممنهجـــة قابلـــة للحـــذف والإضافة وفق المنهج السياسي في المدارس والجامعات.

وكأني بهذه الأمور قد أصابت غالب مجتمعاتنا الغثائية أو كلّها.. والرؤوس والرؤساء، هي ظاهرة المرحلة.. فقد صار غالب هؤلاء العلمـــاء القائمين على الفتوى والقضاء أو الآمر بالمعروف أو غيره يحملون مسميات الرؤساء والرئاسة ومن حيث فهْمنا للمرحلة لا عيب فيهـــا ولا قـــدح في شأن حملتها فقد يكون أحدهم جديراً بذلك؛ لكن المقصود هنا هـــو مـــا أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من جديد المسميات التي تبرز في آخر الزمان حتى تصير إحدى ظواهره..

وأما مفهوم « الجهالة » فاعتقد — والله اعلم — أنه مأخوذ من الـــسَفَه والبَطْر وغَمط الحَقّ بعد علمه.. حيث يكثر هذا النموذج في العديد من حملة العلم المقبوض.. ومن شأن هؤلاء الفتوى والاندفاع إليهـــا بـــسفه وبطر وعدم تريث، وحيناً بدون علم يتناسب مع حالة الفتوى.. كمـــا يشاهد في زماننا من إطلاق الفتوى الجريئة بشُبَه معيّنة، فيُكفّـــر هـــذا

ويُشرّك أولئك.. ويصطفي لنفسه وأتباعه الخلود في الجنان.. وسلامة الإتباع لسيد ولد عدنان مع احتقار وسخرية من المخالف الذي كان يجب أن يُدعى إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة..

ومن قبض العلم، تحديد مسار البحوث والدراسات المرقومة، تحت مسمى الشهادات العليا، كالماجستير والبكالريوس والليسانس والدكتوراة بوجهة نظر ( الأنظمة والدول، وسِياسة التعليم في تلك البُلدان ).. بحيث يتعين على الباحث الالتزام بتحديد مسار البحوث وفق الغاية المرادة.. أو أن يفقد الباحث الشهادة المرجوة..

كما أن قبض العلم تقسيمه في أذهان الأجيال ( إلى قسم أدبي مذموم، وقسم علمي محمود ) ودفع الشباب إلى الأقسام العلمية باعتبارها أهم أقسام العلوم، وتحقير الأقسام الأدبية لأن فيها التربية الإسلامية واللغة العربية وغيرها من مواد التاريخ والعلوم الاجتماعية، ويعتبرها البعض ملاذ الفاشلين..

ومن قبض العلم ( صُدور المؤلفات ) المبتورة عن أصولها.. إما بالحذف أو بالإضافة.. وفق منهجية الكتاب المرتبطين بعجلة الفكر الماسخ، وقد برزت هذه الظاهرة كثير في إعادة طباعة كتب السَلَف، وتبنّي بعض المحققين للكتب حذف كلما من شأنه مخالفة الفكرة التي ينتهجها أو تتبناها مدرسته الفكرية، أو تغيير العبارات وتحريفها عن حقيقتها لتوافق المنظور المتبع لديه..

وبهذا القبض المتعدد في المعاني والأساليب والصور والمخرجات تنحدر الأمة على مسارب الانحراف لقبول العلم البديل شاءت أم أبت، وتتــهيأ مؤسساتها الرسمية والشعبية ومن يديرها إلى تبني العلم البديل.. والعلــم البديل هو ( الغزو ) بكل معانيه.. وللأسف .



## (( بُعثتُ أنا والسّاعَة كهاتَين ))
## زماناً ومكاناً

من أصول الديانة الإسلامية الإيمان المطلق بحضور مفاهيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الزمن الأخير من بعثته إلى قيام الساعة، حيث جمع الله في حيثيات العلم له بين الماضي والحاضر والمستقبل، فلا يجوز أن يعتقد أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا علم له بالعلوم الحديثة، وظواهر الاختراع والاكتشاف، وما برز من تطورات الحياة في عصرنا الأخير لأنها لم تكن في عهده..

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عَرَفَ الظواهر الكونيّة والعلميّة، وما حَدث منها وما سيحدث في مستوى حركة الكون، وظاهر المعرفة البشرية لما فوق الأرض وما في باطنها، وما حَدث وما سيحدث، وهذا ما يفسّره صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:« **بعثتُ أنا والساعة كهاتين، كفضل أحداهما على الأخرى** »[1] وضمّ السبابة والوسطى[2].

وفي رواية: « **بعثت في نسيم الساعة** »[3]، وفي رواية الترمذي: « **بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى** »[4]..

---

(١) رواه الترمذي بضعفٍ وله شواهد تقويه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) عزاه في كنز العمال (١٩١/٤) إلى أبي أحمد الحاكم في الكُنى عن أبي جبيرة.

(٤) رواه الترمذي بضعف وله شواهد تقويه.

وهذه الأحاديث بمجموعها تشير إلى ترافق الرسالة مع نسيج المراحل المتقلبة التي برزت من عهد البعثة حتى نفخ إسرافيل في الصور..

وفي هذه الأحاديث ملحظ هام يشير إلى ترافق زمني من ظهور رسول الله، وظهور علامات الساعة ملازمة لوجوده زماناً ومكاناً..

فالفتن والعلامات والأشراط التي زخرت بها مراحل الصدر الأول، كان لعهد الرسالة منها النصيب الأوفر..

كالدخان، وانشقاق القمر، وظهور النفاق، ومسيلمة الكذاب وأشباهه من مدعي النبوة، وهذه فتن وعلامات بدأت منذ عهد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.. اجتمعت معه زماناً ومكاناً..

وبعض الآيات والأشراط قد لازمها النبيّ بذكره لها وتحذيره منها، وهي التي جاءت على عهد الصحابة والتابعين وما لَحِقَ ذلك من الأزمان حتى عهدنا وإلى قيام الساعة.

بل ومن دقيق معاني لفظه صلى الله عليه وآله وسلم قوله في الحديث « **بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى** » فقوله « **كفضل** » إشارة في إحدى معاني ( الفضل ) إلى الزيادة بين هذه وتلك.. فالزيادة في الوسطى على السبابة تشير بمعنى البياني لما تبقى من مرحلة الزمان.. وهي مرحلته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في عمر الحياة الكونيّة، وليست مرحلته مُدة حَياته فقط.. فهذه مرحلة عمر ذاتي، وتلك مرحلةُ رسَالَة..

وفي معنى الإشارة إلى ترافق « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » زماناً ومكاناً..

أي إذا وضعنا السبابة مجاورة للوسطى على شكل أفقي فيدل على ترافق زماني بالعلم والإشهاد، ومكاني بالموقع والمحيط.

فغالب مظاهر علامات الساعة تبرز حيث نزل القرآن، وحيث عاش صلى الله عليه وآله وسلم مِن جزيرة العَرب.. حيث يكون ذلك أشد فتنة وابتلاءً على القلوب والعقول.. وقد شوهدت هذه المظاهر جلية في أكثر من علامة وفتنة، ولولا أن ما قد أبرزناه في هذا المجال، هو الحدّ الذي ينبغي إظهاره وإبرازه.. والمرحلة لا تتسع لأكثر مما قد ذكرناه، لكان لنا تفصيل وتأصيل لأدقّ ما دخل واستشرى من الأشراط، وما نخر ودمر من الفتن، وما وضح واشتهر من العلامات.. وفي أقدس بقاع القرآن والسنة..

إن كلام السيّد المَعصُوم ليس حِقداً ولا حَسداً لأحد، وإنما هو حقيقة مرّة[1].. ولكنّها مع مرارتها عين العلاج وسبب العافية، والذين لا يعجبهم وضع الدواء على المريض ليشفيه الله مما فيه هم أولئك المستغرقون في حمأة الباطل، والناهشون جرح هذا الجسد الضحيّة.. والمستثمرون من وكل وجه حياته مقهوراً وموته موتوراً.. وهم أيضاً

(١) ولأنها حقيقة مرة لا نستطيع أن نجرّعها المجتمع المعاصر دفعة واحدة، حيث صار عكس الحقيقة ما هم عليه، وجزءاً من وعيهم وعلمهم وثقافتهم، ومواقفهم ودينهم وتدينهم.

جنود المدرسَة الأنوية بصورة أو بأخرى علموا أم لم يعلمــوا حيــث لا يستطيع الشيطان أن يخترق واقعاً ويدمره إلاّ بالاستقطاب لرموز الحركة وخاصة من عَنَتْهُم الآية في أحد معانيهــا ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾(1)..

والعجيب أن الإنسان في حال غوايته يعتقد، ويترسخ في ثنايا فهمه عند شعوره بالانطلاق والنجاح واستغنائه عن الغير أنه على طريق سواء، وأن ما يفعله ويقوله هو الصواب بعينه ولو من بعض الوجوه. فيحمله الاعتقاد الظنّي على ظلم الآخر وبتره واجتثاث كل شيء يحمل اسمه ورسمه وعاداته وحتى عباداته.. ليعود هو ومن معه من الأتباع، وزمر الانتفاع إلى معادل مشابه، ومستنقع موحول..

هكذا تكون المشكلة في محيط العلاقات والفتن والأشراط، وهكــذا يفسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجتمعات الغثائية، ومجتمعات الذلّــة والوَهَن وحُبّ الدُّنيا..

نَسأَلُ الله العَفو والعَافية والمُعافَاة الدَائمة في الدِّين والدُّنيا والآخرة..



(1) سورة الناس: ٥.

## ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ..
## نموذج القراءة الحضارية

لا شك أن كافة الحضارات الإنسانية كانت على جانب كبير من الثراء العلمي المادي.. وكان لها إسهام كبير في تحريك الطاقات، وبروز نماذج الإبداعات القديمة والحديثة..

ونحن في عصرنا اليوم نشهد أيضاً المستوى الأعلى من تطور الحضارة الإنسانية، واختراقها الفضاء الكوني، وأعماق النفس البشرية.. ولم يشك أحد بأننا جميعاً عالة في الصناعة والزراعة والعلوم التطبيقية والنظرية على تلكم الدول الحديثة ذات العلاقة المباشرة بالتصنيع والتكنولوجيا المتطورة يوماً بعد يوم.. حتى طغت لغتها العالمية على كافة اللغات البشرية.. وخفت أمامها كل صوت فاعل.. وتضاءل كل ذي معرفة وديانة.. حيث لم يعد للروح موقعاً مؤثراً في نفوس الأجيال المصدرة عبر هذه المدارس والجامعات، وإن وجد بقية من تأثير فمحدود جداً في التعبد الذاتي والموقف الشخصي.. ومن هنا اعتقد الجلّ الأوسع من الناس أن الدين الإسلامي مجرد طقوس روحية، وعودة إلى النفس وعزلة عن الحياة، واستعداد محض للآخرة ولا غير..

والحقيقة المسكوت عنها أن الدين الإسلامي يعتني اعتناءاً بالغاً بهذه الثوابت، ويُلزم أتباعه بطقوس العبادة الشرعية، والعود إلى النفس لإصلاحها، ويدعو إلى الاستعداد المحض للآخرة، والانصراف من زينة

الحياة الدنيا.. ولكنّ هذا لا يعني توقف الأمر عند هـذا كمـا يـدّعي المغرضون والكاذبون.. بل يتعدى هذا الجانب إلى أعظم من كـل مـا يدّعيه حملة العلوم، ومفكرو الحضارة.. إنها قضية التأصيل لهذه العلـوم، وإبراز منطلقها الشرعي من واقع الإسلام، وأن الإسلام دين الإذن العالمي ببروز المرحلة الأخيرة في العالم.. مرحلة التطور العلمي والتطور الشرعي الروحي[1]..

وإذا ما تخلينا نحن المسلمون عن نماذج الإدخال الإعلامي المـسيس، وتأملنا بموضوعية وإدراك أول آية نزلت في عالمنا الإنساني الأخير عـصر الرسالة المحمّدية لوجدناها ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[2] وهي الآيـات الأولى التي حملت تدشين مرحلة ( المعرفة الحضارية بكل صورها القديمة والحديثة ) وحددت منذ تلك اللحظة النورانية تغيير لغات الحضارات، وتوجيهها نحو قراءة ذات مدلول شرعي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[3]..

لقد برزت حضارات الإنسانية كلّها في العالم الأرضي لتقرأ بأسمـاء متنوعة ليس فيها « اسم الربّ » سبحانه وتعالى.. بـل انتحـرت أمـم حضارية، وتجاوزت قراءة الحضارة باسم الرب إلى قراءها باسم العقـول والمادة، والإلحاد، والكفر، وعقيدة التثليث، والصليب، وقرئـت لـدى

---

(١) مرحلة بروز الألفية الثانية في العالم مرحلة نمو الإسلام وتصدره العالمي في تاريخ الحضارات الإنسانية بلا منازع.

(٢) سورة العلق : ١.

(٣) سورة العلق: ١.

آخرين بأسماء الظواهر والكونيات، وبأسماء الحيوانات، وعناصر المـــادة، وباسم الشيطان.

ولأن هذه القراءات جميعها مبنية على جُحود الإنسان للمسبّب منيت بالفشل الذريع في منهجيتها الحياتية ( ووصمها المرقوم القرآني، وصـــمة عار) ووصم معها كافة النماذج المشابهة لها بعد نزول القـــرآن، وبعـــد تجديد مدلول القراءة في العـــالم.. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

وحتى الديانات العالمية قبل الإسلام كاليهودية، والمـــسيحية، توقـــف العمل الشرعي فيها، وتحول المبدأ القرآني من داخلها إلى قراءة كافرة على يد مهندسي المعارف والمفاهيم، ولهذا وصمتها الآيات القرآنية بالفساد، ووصفت أتباعها من اليهود والنصارى بالكفـــار والمبـــدّلين والمحـــرفين والمغضوب عليهم والضالين..

وهدّد القرآن الكريم، وهو الحُجة العَالميّة في الأرض على الأمم كلّهـــا كافة المنتسبين للحضارات قديماً وحديثاً أن ( يعيدوا النظـــر في ثوابـــت قراءهم لتنطوي ضمن التجديد الرباني في العـــالم بلغـــة القـــرآن) ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾[2] فلم ينصت لهذا النداء غـــير

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

بعض الأفراد.. أما ذات المدارس الحضارية المنحرفة فبقيت على صورة الانحراف التقليدي مع تحدّ وتجاوز مهين..

ولهذا فإن ( مفهوم الحضارة ) مقيد بالإذن الرباني في العالم.. هذا من وجهة نظر الأديان.. أما من وجهة نظر الشيطان وأتباعه فلهم قراءة أخرى، وثوابت أنوية إبليسية معاكسة، شملت فيما شملت تحريف نصوص الكتب السماوية ذاتها.. وتعسف المفاهيم والتكذيب بالرسل وقتلهم بغير حق...الخ ، ما أورده القرآن من محاكمات الأمم من سابق الملل والنحل..

ومن هذا المنطلق نعتقد جازمين أن كافة الحضارات قد أخفقت في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح، وعملت على تجسيد مراد الشيطان ومشروعه الأنوي الإبليسي على شكل ثلاثي:

**(الشيطان+ الكفر+ الدجال= المدرسة الحضارية الإبليسية الوضعية).**

ولهذا فقد حقق الله تعالى للعالم بأسره مَطلَب الحق في إعادة القراءة العالمية بإسمه منذ أن أنزل القرآن.. وكانت لُغة عالمية شاملة لم تتحدد في جزيرة العرب، ولا في جنس المسلم أو المؤمن؛ بل جاء الخطاب القرآني عالمي الأبعاد ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[1]..

---

(١) سورة العلق: ١-٥.

وشرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ تلك الساعات الأولى وهو يتفهم المراد الرباني العالمي، ويرسي قواعده القرآنية مرحلة بعد أخرى مواجهاً الثلاثي المنحرف:

| مشركي العرب وقريش | اليهود والنصارى (أهل الكتاب) | المنافقين والمرجفين |
|---|---|---|
| الوثنية | التثليث | النفاق والذين في قلوبهم مرض |

وكادت الآيات الأولى من الكتاب المقدس ( القرآن ) تستوفي ثلاثي الأبعاد الحضارية العالمية التي جاءت بها الرسالة الخاتمة :

| القراءة باسم الرب | عالمية القراءة بالوسائل | عالمية العلم |
|---|---|---|
| اقرأ باسم ربك | الذي علم بالقلم | علم الإنسان ما لم يعلم |

وأفرزت هذه المعاني القرآنية حدود المنطلقات الزمانية للمعارف المادية والروحية اللاحقة محجمة كافة المعارف التقليدية الميّتة التي أبت التوحيد الخالص.. وفاتحة باب الإطلاق الواعي لجديد التطورات والعلوم ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾..

فكانت مراحل المعرفة تتوالى في العالم الإنساني الأخير تحت هذا المبدأ الرباني الخطير ولا بديل عنه ولا تغيير..

والكافرون من كل وجه هم أولئك الذين أحيوا مدرسة الأنوية الإبليسية فنزعوا عن القراءة الشرعية ثوابتها وسموها بغير اسمها، وجاءوا بحضارة المادة المجردة لتحل بديلاً عن القراءة باسم الربّ.. وتفنّنوا عبر تاريخ التحولات لصرف عقول الأمم بما فيها أمة الإسلام، أمة القرآن والسنة عن مراد الله في قراءة الحضارة إلى مرادات الثلاثي المنحرف:

الشيطان الكفر الدجال

والقرآن والسنة، وهما المرقومان العالميان للقراءة الجديدة باسم الرب، قد تناولا تاريخ الانحراف القديم والجديد وفصّلاه تفصيلاً واضحاً ومتطوّراً.. ووضعا للأمة الإسلامية في قمة الحياة الاجتماعية وقاعدتها أسس الطريق وثوابت العلم والعمل والحياة.

وأثرت من هذه القراءة وتفردها التوحيدي عقيدة مدرسة الحضارة الإسلامية، وتفاعلت مع رقوم ورسوم الحضارات الميّتة وأحييت من خلالها، وباستيعاب ثوابتها التجريبية (تسخير المادة) (وطول الملاحظة)،(وانفعال الظواهر)..

سواء كان ذلك على أيدي المسلمين أنفسهم وخاصة في بداية مراحل التأسيس الحضاري.. أو على أيدي العلماء من غير المسلمين حيث منح القرآن المعرفة العلمية ( للإنسان ) وليس المسلم وحده.. ويقصد بالإنسان

آدم في أول تعليمه الأسماء كلها.. وتحديد هذا المعنى في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قيل له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[1]، ثم انتشار معنى الإنسان في الصنف البشري المعمق في مدلولات القراءة بعمومها.. حتى أَبْلَغَ القرآن مسألة (التعمق الكافر) إلى درجة الإحراج عند التحدي بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2]..

وبهذا المفهوم القرآني الواعي تدرك أمة الإسلام مسؤولياتها التاريخية في المرحلة المعاصرة؛ لنتفهم شرف القراءة العليا التي أذن الله بها في هذا العالم لتكون فاتحة المرحلة العالمية الأخيرة.. عالمية الإسلام، لا علمانية ولا علمنة ولا عولمة الكفر والكفار..



(١) سورة النساء: ١١٣.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

## (( مَن أحيا سُنّتي عِند فَسادِ أمتي فَلهُ أجرُ مَئةِ شَهيد ))

هناك العديد من الومضات النبوية ذات العلاقة بتجديد مفهوم الديانة والتدين على أصولها الأولى..

فحديث « **من أحيا سنتي عند فساد أمتي**.. الخ » حديث فهمناه على مدى تاريخ حياتنا المعرفية بما هو مألوف من السنة القولية والفعلية والتقريرية، وكلّ من أحيا رُسوم العِلم والتعليم الشرعي دخل في هذا المدلول أو انحصر فيه دون غيره.

وعندما نأخذ مفهوم السنة المشار إليها في الحديث بمعنى المواقف « **ألا إنه من يَعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** » كما هو في حديث: « **فعليكم بسُنّتي وسنّة الخُلَفاء الرّاشدين المهدِّيين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ** »[1] برز المعنى الهام والواسع من مدلول الحديث..

فالإحياء للسنة عند فساد الأمة.. إنما يشير لحالة من حالات الأزمات الأخلاقية والانحراف التي تشمل القمة والقاعدة حتى يؤدي ذلك إلى الهلاك والقتل والتصادم والفشل بكل معانيه حتى بين حملة (العلم بكل صوره) فيحتاج عندها المجتمع إلى (مواقف أخلاقية) وهذه المواقف ليست ناتجة عن سياسة المرحلة أو ظروفها.. وإنما ناتجة عن تجديد مفهوم النصوص إلى ما يبرز مواقف النبي ذاته من مفهوم الفساد، وكيفيات معالجته بالصبر والحلم والتجاوز والعفو والإحسان والبر والإغضاء، وكل ما فيه إحياء العلاقات

---

(١) رواه ابو داوود والترمذي.

السلوكية المؤدية إلى المودة والرحمة والمحبة والسلام.. وما تعنيه أيضـــاً الآية ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

والأجر العظيم المقرر في الحديث « **فَلَهُ أَجرُ مئة شهيد** » هو الذي يبين عظمة العمل المقدم من المحيي لهذه السنة..

فالمطلب الإنساني للمسلم أن ينال ثواب شهادة واحدة، وهي التي تتأتى عند دخول المرء إلى الجهاد في سبيل الله، وهي أيضاً عظيمة حيث لم ينلها حتى بعض الذين قاتلوا في صفوف المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف ينال المرء أجر مئة شهيد إلاّ وأن العمل المؤتى يستحق ذلك، حيث يشير المعنى إلى خطورة تظافر الناس على الإفـــساد في آخـــر الزمان، والتعاون في سبيله. فتُسَال الدماء المظلومة، وتنتـــهك الأعـــراض، وتتعطل مكارم الأخلاق كما سبق ذكره.. فيكون في هذه الحالـــة كـــل متبرع لله في جمع الكلمة، وإصلاح ذات البين، وتوحيد الـــصف، وســـد ثغرات الإفك، وإبطال مشاريع الكفر والدجل والشيطان.. مستحق بذلك ثواب مئة شهيد كاملة.. لأن في مواقفه إحياء لمنهج، وإحياء لأمة، وإحياء لسنن تجاوزت حدود الزمان والمكان.. وهذا ما نحن بصدده.

---

(١) سورة النساء: ١١٤.

فالفهم الواعي المتلائم مع تطور الإنسان ذاته يلزمنا أن نأخذ بالجادة في إدراك مفهوم السنن النبوية، ونفهم معنى الأجر على قدر البذل.

وقد عرفنا أن مفهوم السنة هذا هو ( الموقف ) فالذين يحيون المواقف الشرعية عند إحتدام الفتن وخاصة عندما تكون الفتنة في الدين (كالاستدلال بالسنة للتفرقة، والعنت، والنقض، والقبض) فالموقف الملائم لهذه الفتنة، وامتصاص هذه المحنة، وتحجيمها، وتجميد آثارها مرتبة عظيمة في الجهاد..

وفي الحديث ملحظ خفيّ يعضد معنى الحديث السابق « **أفضلُ الجهادِ كَلمةُ حَقٍّ عند سُلطَانٍ جَائر** » وهو قوله: « **فله أجر مئة شهيد** » حيث أن الشهداء لا تسيل دماؤهم إلاّ في الجهاد في سبيل الله، فيكون إحياء مواقف السُنن النبوية أخلاقاً، وحسنَ معاملةٍ مع الغير من الأضداد والأنداد، مرتبة جهاد مضاعفة ومتعددة الثواب..

والجهاد في سبيل الله للدين والديانة، وإماتة الكفر، والخيانة وهو مطلب فرضي واجب.. إلاّ أنه ليس في كل الأحوال يعني ( السيف والقتال ) فعندما يكون ( الغرض المراد ) ممكن الحصول بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة فهي ( لون من الجهاد ) وربما ضُوعِفَ الأجر والثواب لمثل هذا العمل الخير كمثل من يقتل مئة مرة.. أو أن ينال ثواب مئة مجاهدٍ في سبيل الله. كما ورد في نص الحديث..



## بنو إسرائيل بين .. عطاء الله وجحودهم

لا زال كتاب الله شاهداً حضوريّاً على انحراف العصابة من (أمة اليهود) أهل الكتاب، وأن انحرافهم جاء ثمرة من ثمرات سوء أعمالهم، وفساد نياتهم، وغلبة طباعهم، واستحواذ الشيطان عليهم.

والقرآن زاخر من أول آياته بصور العَطَاء الرّباني، وسوء المقابلة من هذا النموذج الإنساني.. وسنتناول هنا مثالاً من هذه الأمثلة القرآنية المؤكدة اهتمام التبيان عن هذه الأمة، وفساد تصورها، وسوء معاملتها سواء مع الحقّ سبحانه أو مع أنبيائهم أو مع سائر الناس..

### التذكير بالنعم

١) ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١)..

٢) ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾(٢)..

٣) ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة: ٤٧.

(٢) سورة البقرة: ٤٩.

(٣) سورة البقرة: ٥٠.

٤) ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

٥) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2]..

٦) ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[3].

٧) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4]..

ومع هذا النموذج من الآيات المعبرة عن نعم الله لهذه الأمة (من أهل الكتاب) يبرز في الصورة المقابلة مواقفهم السلبية التي أداها الله في آياته ومنها:

---

(١) سورة البقرة: ٥٧.

(٢) سورة البقرة: ٥٨ .

(٣) سورة البقرة: ٦٠.

(٤) سورة البقرة ٦٣.

## (مخالفة القول للفعل)

١. ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1].

## (نكث العهد في العقيدة)

٢. ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[2]..

## (المطالبة بالمستحيل)

٣. ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[3].

## (التحريف للأمر الإلهي)

٤. ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[4].

## (رفضهم لاختيار الله وتأصيل إختيارهم)

٥. ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: ٥١.

(٢) سورة البقرة: ٥٥.

(٣) سورة البقرة.

(٤) سورة البقرة:٥٩.

(٥) سورة البقرة: ٦١.

٦. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (١).

٧. ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٢).

٨. ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾.

٩. ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ ﴾ (٣).

## (تحريف كلام الله عمداً)

١٠. ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

١١. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾(٥)..

## (الافتراء على الله في شؤون الآخرة)

١٢. ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾.

---

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة البقرة: ٦٥.

(٣) سورة البقرة: ٧٦.

(٤) سورة البقرة: ٧٩.

(٥) سورة البقرة

## (مخالفة قوانين الأنبياء في شؤون الحياة)

١٣. ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [(١)].

## (معارضة الانبياء وايذاءهم)

١٤. ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [(٢)].

## (تصريح الحق بكفرهم واستحقاقهم للّعن)

١٥. ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٣)].

١٦. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة البقرة: ٨٧.

(٣) سورة البقرة: ٨٨.

(٤) سورة البقرة

## (إيمانهم بكتابهم ورفضهم للكتب السماوية الأخرى)

١٧. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [1].

## (المخالفة بعد الإنذار)

١٨. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [2].

## (نقض المواثيق وعصيان الأمر وحب الدنيا)

١٩. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [3].

## (الحرص على الحياة)

٢٠. ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [4].

---

(١) سورة البقرة: ٩١.

(٢) سورة البقرة: ٩٢.

(٣) سورة البقرة: ٩٣.

(٤) سورة البقرة: ٩٦.

## (نبذ العهد بعد الإبرام)

٢١. ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]..

## (تجاوز الوحي السماوي وايقاف العمل به)

٢٢. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]

## (إتباع الشيطان)

٢٣. ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾[3].

## (سياسة الاحتكار)

٢٤. ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[4].

## (تفعيل الصراع الإعتقادي)

٢٥. ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾..

---

(١) سورة البقرة: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: ١٠١.

(٣) سورة البقرة: ١٠٢.

(٤) سورة البقرة: ١١١.

## (الكبر الذاتي والإشتراط على الأنبياء)

٢٦. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾[١].

ومع هذه الانحرافات التي قررها القرآن في هذه الأمة الظالمة ..

أبرز المولى ما يسعى إليه هؤلاء في إفساد حال أمة القرآن أيضاً، وما يجول في خواطرهم، وما يدبرونه من حيل وأساليب ووسائل:

١. ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٢]..

٢. ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[٣].

٣. ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾[٤].

ويقرر المولى حال فساد ( أهل الكتاب ) وما يتوجهـــون إليـــه. ويوجه الحق هذه الأمة إلى الطريق السوي قائلاً لهم:

---

(١) سورة البقرة: ١١٨.

(٢) سورة البقرة: ١٠٥.

(٣) سورة البقرة: ١٠٩.

(٤) سورة البقرة: ١٤٢.

١. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [(١)].

٢. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [(٢)].

٣. ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ [(٣)].

٤. ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [(٤)].

٥. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ [(٥)].

٦. ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [(٦)].

❁ ❁ ❁

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة: ١٤٤.

(٣) سورة البقرة: ١٤٥.

(٤) سورة البقرة: ١٤٦.

(٥) سورة البقرة: ١٥٠.

(٦) سورة البقرة: ١٣٧.

# الثــالوث الوبــائي

## الثالوث العدوّ ( الشّيطان – الكُفر – الدّجال )

اعتنى القرآن، وكذلك السنة الشريفة بتطعيم وتحصين الأمة الإسلامية من خطر الثالوث الوبائي القاتل.. هذا الثالوث الذي بدأ بالعـــدوّ الأول الشيطان.

### العدو الأول الشيطان :

وقد ورد في آيات الله تعالى إشارات بينات للاستعاذة منه، منها قوله:

١. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

٢. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[2].

٣. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3].

وهذه الاستعاذة دفاع حصين من شر اختراق الـــشيطان كافـــة شؤون المستعيذ بالله .. حيث لا قوة تمنعه عن الاختراق والوســـواس إلاّ الاستعاذة..

(١) سورة الأعراف: ٢٠٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٩٧ -٩٨.

(٣) سورة فصلت: ٣٦.

وفي هذا الحديث الشريف إشارات ولمحات تؤكد خطورة اختراق الشيطان لبني الإنسان، وأن أقوى التحصينات هي الاستعاذة[1]، وقراءة القرآن من مثل ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة مع أسيره الذي داهمه ثلاث ليال، وفي الليلة الثالثة رصده أبو هريرة، وقال : **لأرفعنّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: دعني أُعلمُكَ كلمات يَنفعُكَ اللهُ بِها، قُلتُ: ما هنّ، قال: إذا أويتَ إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حتى تختم الآية، فإنّك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح..**

**قال: فَخليتُ سبيلَهُ فأصبحتُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارحِةِ » قلتُ يا رسول الله: زَعَمَ أنّه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليتُ سبيله.. « قال ما هي؟ ».. قلتُ: قال لي.. إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ... الخ ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يصيبك شيطان حتى تصبح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمَا إنه قَد صَدقَك وهَو كَذُوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ».. قال.. لا.. قال.. « ذاك الشيطان »**[2]. وفي حديث مرفوع « **إن الله**

---

(١) مثل قوله صلى الله عليه وسلم: « **أعوذُ بكلماتِ الله التّامَةِ مِن كُلِّ شيطانٍ وهامةٍ وعينٍ لامة** »..

(٢) الحديث بتمامه في صحيح البخاري (٤/٦١٢، ٦١٣).

**كَتَب كتاباً قبل أن يَخلقَ السماوات والأرض بألفي عام فأنزل منه هذه الثلاث آيات التي ختم بهنّ البقرة، من قرأهنّ في بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال..»**[1].

وقصتنا مع الشيطان أزلية.. بدأت منذ فجر الخليقة.. وبرغم أنها حكمة ربانية في تنازع الأضداد وإبتلاء ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2].. إلاّ أن خالقنا سبحانه، قد أوضح السُبُل للأمة في شأن خطورة ( الشيطان )، وأبرز في عشرات الآيات وظيفته الشرية في العالم.. وما يجب علينا نحن المؤمنون بالله أن نفعله تجاهه، حيث أن قوته الفاعلة لا تكمن في قدراته ووسائله، وإنما ترجع إلى جهلنا وغفلتنا وتأثرنا بإغوائه وإغرائه.. فالمعركة قديمة، ووسائل الحرب لم تعد تقليدية؛ بل أن (الشيطان) قد طور ولا زال يطور أساليب الإغراء والإغواء والتزيين، لإيقاع الإنسان البشري في حبائله.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3]. فإذا كانت القصة المروية في الحديث الشريف آنفاً مع أبي هريرة وما فعله الشيطان من أسلوب خطير في التمويه والدّجل والحيلة للنيل من طعام الصدقة، وقدرته الغريبة في اختراق منزل أبي هريرة متمثلاً في صورة فقير محتاج، و لم يفطن أبو هريرة رضي الله عنه رغم علمه وبصيرته لهذا الزائر الشيطان؛ بل عرفه

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٤/٢٣٥) .

(٢) سورة الملك : ٢.

(٣) سورة فاطر : ٦.

بعد أن كشف هويته صلى الله عليه وسلم. فإننا لا شك نجد أن هذا المخلوق ( لن يتأخر ) يوماً عن فعل مثل هذه المسرحية، وبأكثر من منظر ومظهر مستغفلاً ( الرجال والنساء ) داخل المنازل والمخادع، وسالباً منهم أكثر مما سلبه من ( أبي هريرة ) حيث أن الشيطان خاف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكشف حاله فعلَّم أبا هريرة ( آية الكرسي ) ليخلص منه ألاّ أنه اليوم لن يخاف من أشباهنا وأمثالنا.. ولن يعلمنا ما نتحصن به؛ لأنه قد أمن غائلة الكشف عن هويته فلا شكّ أنّه سيَنال الكَثير والكَثير.. وربّما لن يكون طعاماً ولا شراباً.. بل قد يكون أكثر من ذلك.

## العدوّ الثاني.. الكفر:

والكفر، هو موقف الشيطان عشية رفضه السجود لآدم.. قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾[1] فمرجع الكفر إبليس وموقفه من آدم عليه السلام.. وبين ( الشيطان والكفر ) تلازم وعلاقة؛ بل صار الكفر بكل ما يحمله من جنوح سياسة الشيطان، ومنهجه العلمي والعملي في العالم.. وقد عبر صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا الرباط الخطير بين ( الشّيطان - الكفر - الدّجال ) بقوله « **ما من فتنةٍ من عَهد آدم إلى قَيام السَاعة إلاّ وهي تَضعُ لفتنةِ المسيخ الدّجال** ».

(١) سورة البقرة: ٣٤.

فالكفر في مسيرته العالمية هو مذهب الانحراف الشيطاني، وأول كافر من بني آدم كان ( قابيل ) أي أنه أول من نحـى في مـسلكه مـسلك الشيطان، وخالف منهج والده.. وبدأت مسيرة ( الكفر ) في المخلـوق الآدمي بقابيل وذريته، وعمل قابيل على تنفيذ منهجية الكفر في حياتـه كلها ( كالقتل، والنهب، والزنا، وعبادة النار، وعقوق الوالدين، والكفر بالله، وترك ما أوجب الله عليه ).

ولهذا اتخذ والده ( آدم ) من بعده عهداً على أبناءه الصالحين مقاطعة قابيل وذريته. أن لا يؤاكلوهم ولا يشاربوهم ولا يناكحوهم كمـا ورد في كتب الآثار[1]، وفي عهد نبي الله (شيث ) -ولد آدم- نزل من أعالي الجبال نفر إلى سواحلها حيث يقيم قابيل وذريته ففسدوا وتواتر الفساد بعد ذلك في أعداد ممن لَحِقَ بقابيل، وقد أهلك الله هذه الذراري الكافرة بطوفان نوح عليه السلام، وهو القائل عنهم: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[2]..

وعادت أمم من ذرية نوح إلى الكفر وعبادة الأوثان.. وقـد تـولى القرآن الشرح التام لهذا الكفر الصريح لدى الأمم.. والمقصود من هـذا الكفر الصريح هو ارتضاء منهج الشيطان، ونبذ منهج الرحيم الـرحمن..

(١) راجع تاريخ الطبري، وابن كثير في البداية والنهاية.

(٢) سورة نوح : ٢٦ — ٢٧.

ولم يزل ( إبليس ) لعنه الله مجتهداً في إغواء الأمم جيلاً بعد جيل إلاّ من عصم الله وحفظ حتى جاءت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والعالم على ثلاثة اتجاهات:

١. أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد كفروا بالله وحرفوا كتبهم وقتلوا أنبياءهم.

٢. أمم وثنية من أجناس البشر اتخذوا لهم آلهة من المخلوقات كعبادة الشمس والقمر والنجوم والحيوان والذوات

٣. مشركي العرب وقريش وهم عُبّاد الأصنام.. وأهل الأزلام وتبتيك الأنعام، ودمغ القرآن منهج الكفر من كل الوجوه.

ولم يترك لكافر حجّة، وربط بين منهجية الكفر والشيطان كما هو في سابق العهد لدى أهل الرسالات.. ومن ذلك قول إبراهيم لأبيه.. ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾[1].

وفي حكاية القرآن عن سليمان عليه السلام، وردّ تهمة بني إسرائيل بكفره، قال تعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾[2]..

---

(١) سورة مريم: ٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

## العدوّ الثالث: الدّجال :

وهو إنسان من (اليهود)، ولليهود ريادة في عالم الكفر والجنوح عن الأديان.. وقد تناولت السنة الشريفة أخبار الدجال، وأكدت وجوده في العالم الإنساني كذات وليس كمرحلة أو نظام.. إلاّ أن الاستقراء والمتابعة الواعية لمرقومات الشريعة أفصحت عن شخصية الدّجال، وعن ما يكون من بين يديه إفصاحاً يبرز خطورة الثالوث الوبائي كله، ويجعل الحلف الثلاثي ضد الإسلام والمسلمين يتخذ أشكالاً من: التمويه، والدّجل، والخديعة، حتى ينطلي الأمر على كثير من الناس، وتتبنى ( الأنظمة، والحكام، والعلماء، والمؤسسات، والشعوب) أساليب (الثالوث) بمسميات حضارية وعلمية جديدة، وربّما تكون جديرة بالاهتمام والدراسة، ودوام المتابعة حتى يتضح للمتابع والمستقرئ طريق النجاة في الدنيا، والسلامة من هول الآخرة..

وقد اختلف العلماء في شأن الدجال وذاته وتوقيت بروزه وما يكون من أسباب الحريات التي يتبناها في العالم كجزء من أيدلوجيته العالمية للتمهيد المنتظر لظهوره الأخير.. وهذه مُسلّمات تجب متابعتها في مواقعها من السنة الشريفة[1] حيث أكد النبي صلى الله عليه وسلم (عالمية الفتنة وخطورة الانحراف) سواء بالنسبة لخدمة سياسة الكفر الشيطاني، أو ما يؤديه لمصلحة الكافر طابور المنافقين والكافرين الملتزمين لمنهجية

---

(١) تابعنا هذه المسألة في كتابنا ( بين يدي الدجال ) مطبوع، و ( التّليد والطّارف في فقه التحوّلات وسنّة المواقف ) مطبوع.

الشيطان في العالم، والمعبرين عن مظاهره الأنوية الإبليسية بعلم وبغير علم..

وقد ابتلى الله الأمة بالدجال ومنهجيته العالمية.. إذ هو المستثمر الفعلي للثنائي العدوّ ( الشيطان والكفر ) أو بمعنى أدق هو المخلوق البشري المستفيد من تحريك العالم الإنساني نحو عبادة الشيطان بمنهج الكفر وأيدلوجيته الحضارية المتطورة:

١. الكفر بكافة أنواعه.

٢. النفاق.

٣. انحلال المرأة.

٤. المعاصي.

٥. أكل الحرام السحت.

٦. إضاعة الأوقات.

٧. إتّباع النفس والهوى والدنيا.

٨. تحريف سنة الحكم وسنة العلم.

وقد تولت ( عصبة العمل الشيطانيّة ) دبلجة وتحسين وتزيين هذه الجنوحات لتتناسب جرعات قبولها مع العقل الإنساني المسلم وغير المسلم، ومع ترويض العقلاء والملتزمين بالديانات حيناً بالترهيب أو الترغيب أو الخداع أو التزييف أو الترويج والدعاية، أو بالتأثير على (المرأة – الطفل – الشاب) حتى يقبل ما لا يقبله الرجل الواعي والمسن

الذي قد اكتوى من قبل بنيران الشيطان، كما تطورت وطوّرت وسائل وأساليب التأثير النفسي والعقلي والعاطفي والجسدي بما لا مزيد عليه..

وقد ثبت بالاستقراء والملاحظة الدقيقة أن ما سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ( بالقبض والنقض، والإفراط والتفريط، والأشراط، والعلامات، والفتن ومضلاتها، والغثائية ومظاهرها من الوهن وحب الدنيا وكراهية الموت، ونزع المهابة من صدور العدو، واستتباع سنن الأمم الذين من قبلنا ) وحددهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باليهود والنصارى، والدخول نحو جُحر الضبّ جهلاً واستتباعاً.. والكاسيات العاريات المائلات المميلات، وظهور أقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، ورمي المسلم للمسلم بالشرك، وفتنة المشرق، والهرج والمرج، والرِّبا الحرام ودخوله كل بيت ومن لم يدخله أصابه غباره، والميسر (القمار) والغنا والخنا، وشرب الخمر وفشو المخدرات والمسكرات، والتطاول في البنيان، وعبادة العِجل، وإنتشار القطيعة والعقوق والفساد الأخلاقي بكل صوره ومعانيه، والمُلك العضوض، ونقض الحكم الإسلامي، وتكالب الأمم، وامتلاء الأرض جوراً بكل نماذجه.. وغير هذا من الظواهر التي يطلق عليها في مرحلتنا المعاصرة بأسباب التطور والتقدم ونماذج الحضارة.. وكلها ومثلها هي برنامج الدجال العالمي الفاتك.. وقد لخصناها في ثلاثة محاور عمل الشيطان، والكفر، والدجال على

رسمها في العالمين العربي والإسلامي ليستثمرها العدوّ الثلاثي عبر مراحل التاريخ، وهي:

- **العلمانية:** وبدأت مع بروز الثورة الصناعية، وشمول مرحلة الاستعمار.
- **العلمنة:** بعد سيطرة الثالوث على مقدرات الأمة، والعمل على تطويع العقل الإسلامي، وتطبيعه لقبول السياسة الكافرة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع وبقية العلوم.
- **العولمة:** استثمار المرحلتين، واحتواء العالم ضمن النفوذ الثلاثي، وإعلان الحرب السافرة ضد الديانة الأخيرة (الإسلام).

وإذا ما دققنا في حشد الوسائل المسخرة لهذه الأغراض وأثرها وفاعليتها في المجتمعات.. لعرفنا بعد ذلك سرّ قوله تعالى:﴿ **فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا** ﴾[1]. ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]..

ولا زال برنامج (الثالوث الوبائي) يعمل على نشر سمومه، وسياسته العالمية تحت (أطر ومجموعات وقوى) ذات ارتباط هيكلي متنامي مهمتها الحرب العالمية ضد الخالق سبحانه مستفيدين من (المهلة التي أمهل الله فيها

---

(١) الطارق: ١٧

(٢) يونس: ٢٤

الشيطان)، والوعد الذي أوعده له بإطلاق سلطته على الغاويين والمتبعين له ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [1].

والغرور المشار إليه في الآية هو عينه المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[2].. ولكن الاستثناء المحمود لعباد الله المحفوظين من الشيطان والملتزمين بشروط الديانة، وحفظ الأمانة هم جند الله الصابرين في كل عصر وزمان ومرحلة.. هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾[3]..

وهم الذين يعملون خلال تقلبات المراحل على إبراز النموذج الصالح من القدوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونشر الأخلاق الشرعية، وإقامة الواجبات، والانتهاء عن المحرمات والذين يفعلون الخير ابتغاء مرضات الله.

ولن ينقطع خطر ( الثالوث الوبائي ) حتى يبلغ مداه ويستفحل ويفشو، والمعصوم من عصم الله والمحفوظ من حفظ الله، وقد علّمنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الآيات العشر الأول من سورة الكهف، وأنها

---

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) الحجر: ٤٢.

تعصم المسلم من فتنة الدجال، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: « **من حفظ عشر آياتٍ من أول سورةِ الكَهف عُصِمَ من الدّجال** »[1]..

وعنه أيضاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « **من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال** »[2]..

وقد علمنا أن هذا الثالوث عالمي الفتنة عالمي الامتداد، ولهذا نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يربط بين الحوادث وبين العلامات البارزة في المراحل.. وخاصة بعد بعثته.. حيث أن أغلبها إنما تشير إلى حصول الانحرافات في العالم كله.. ومنها :

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦/٣٤٠نووي) وأبو دواد (٥/٤٨) وأحمد في المسند (٦/٤٤٩) كلهم من حديث سالم بن أبي الجعد عن معدان، عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**».

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/٤٤٦) : ثنا محمد بن جعفر وحجاج، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، قال حجاج في حديثه سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « **من قرأ عشر آيات من آخر الكهف عصم من فتنة الدجال** » قال حجاج: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف. وقد ذكر هذه الرواية مسلم في صحيحه (٦/٣٤١نووي) وأبو دواد (٥/٤٨) والمسألة فيها اختلاف من ناحية اللفظ، والرواية الأولى هي الأولى بالترجيح .

## عالمية الثالوث من آدم حتى قيام الساعة:

١. « **ما من فتنة من آدم إلى قيام الساعة إلاّ وهي تصنع أو تضع لفتنة الدجال** »[١]..

٢. امتداد فتنة الدّجال من عهده إلى قيام الساعة، ووقوفه صلى الله عليه وآله وسلم معادلاً شرعياً في المرحلة حتى قيام الساعة «**بعثت أنا والساعة كهاتين** »، وقوله: « **من نجا من ثلاث فقد نجا.. موتي وخروج الدّجال وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه** »[٢]، «**إني أرى حوضي الآن، وإني أرى الفتن بين بيوتكم كمواقع القطر**».

٢. امتداد فتنة الدجال من مقتل عثمان حتى بروز الدجال:

عن حذيفة « **أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال، والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلاّ تبع الدجال إذا أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره** »[٣]، وقد تناولنا هذا الموضوع بإسهاب في التّليد والطّارف.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حديث ذكره في تحقيق مواقف الصحابة ( ٢-٨ ).

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢١١/٧) عازياً له إلى الحافظ ابن عساكر – وهو في تاريخ دمشق– من طريق سياه عن حفص بن مورق الباهلي، عن حجاج بن أبي عمار الصواف، عن زيد بن وهب، عن حذيفة بن اليمان، قال: (( **أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلاّ تبع الدجال إن أدركه وإن لم يدركه آمن به في قبره** )).

ومن هذا الامتداد التاريخي تعلم خطورة ( الثالوث الوبائي الهالـــك ) وأن الأمة الإسلامية تحتاج إلى تفهم وتعلم واسع المدى في كـــثير مـــن وظائف حياتها المعاصرة.. لتتجنب الوباء القاتل والفساد الدّجالي الماحل.. والله الموفق والمعين.



## الثلاثي المذموم.. والثلاثي المدعوم ..

من ظواهر المرحلة الغثائية وسيادة الوهن فيها،انتشار الحرب بين أهل الإسلام والإيمان والإحسان، واتخاذها شكلاً من أشكال الصراع والانفعال، والغالب من الناس ينطلق في تحليله شمول هذا الصراع من داخل الحظيرة الإسلامية، وأن ظواهر الإفراط لدى هذا، وظواهر التفريط لدى ذاك هي العامل الأساسي في اتخاذ السلفيين -مثلاً- موقفاً ضد الصوفية والمتصوفة أو العكس..

والحقيقة المُرَّة - ونشرها أشد مرارة - أنّ عصبة الحركة الإبليسية في العالم وقد تكلمنا عنهم سلفاً.. قد طرحوا لإنجاح المعركة وقوداً كافياً وجمعوا من حطب المتناقضات، وغاز الانفعالات ما يكفي لتفجير الجماعات ضد بعضها البعض، وكان من أهم وقود الصراع في المرحلة الغثائية ( إشغال المسلمين بأنفسهم )، وتبلور محور الإشغال والاشتغال بتحجيم طرفي الإفراط والتفريط لدى الصوفية وآل البيت والمذهبيين.. ليصير ثلاثياً مذموماً،كما تبلور من جانب آخر دعم ثلاثي المرحلة :

- **التطرف الديني والسياسي .**
- **سائل الحضارة والتحرر .**
- **الاقتصاد الربوي .**

وصار ثلاثياً مدعوماً من كافة القوى العالمية ، ودارت رحى الحرب بين الطرفين على غير تكافؤ مادي.. وكان من سمـات التطـرف الـديني والسياسي:

- نقض الحكم والثورات والانقلابات بمسميات (سياسية متنوعة).
- نقض عرى التصوف والمذهبية وآل البيت.
- تشجيع الأحزاب الدينية المتطرفة.
- افتعال المعركة بين (الرأسمالية والشيوعية ).. الشرق والغرب لتقسيم العالم..

وتحت ظلال هذه المعركة الدائرة على مـسرح المجتمعـات العربيـة والإسلامية استثمر ( الثلاثي العدو ) هذا الاتجاه تحت ما يسمى (سياسة فرّق تَسد) وانتقل من الاستعمار إلى الاستهتار إلى الاستثمار.. وفي كل مرحلة من هذه المراحل يوسع وسائل ( الصراع المفتعل ويدعمها دعمـاً سخياً ) لينتقل المسلمون بكافة هياكلهم وتناقضاتهم إلى مرحلة أخرى..

والذين يدركون بوعي هذه الأطروحات سيجدون التـاريخ كلـه - خاصة ما رقمته المؤلفات والصحف - شاهد على أن ( العدو الثلاثي ) هو الكاسب لمعركة الصراع بين ( الثلاثي المذموم، والثلاثي المدعوم ).

وليس غريباً أن نرى الآن وفي (مرحلة الاستثمار) كيف تتغير نـسب الولاءات، وتتفكك عرى التحالفات المدعومة لتعيد التركيبات المرحليـة نحو إستراتيجية معكوسة تختلف تماماً عن تركيبـات بـدايات المرحلـة

الغثائية.. ولربما وجدنا ( الثلاثيات المذمومة والمدعومة ) تعـاد قراءتها بتفصيلات جديدة.. وتعليلات متطورة فريدة..

فالمرحلة التي برزت أخيراً في العالم تحت مسمى ( العولمة ) وما ترتب عليها من تطورات عالمية وإسلامية وعربية.. نزعت بالأمر إلى تسييس جديد ومواقف جديدة.. ومن ظواهرها:

- تسييس الوسطية والاعتدال.
- ترسيخ الهيمنة الاقتصادية والاحتلال.
- الثورة المعلوماتية، وإطلاق الحريات، وإسقاط حاكمية العالم للقطب المثال.

## ١) تسييس الوسطية والاعتدال :

وهي الإستفادة من توازن القوى التي عاشت خلال مرحلة (العلمنة) على مبدأ الصراع السياسي والحزبي والديني لتسهم في تنمية مرحلة (العولمة) وفق المصالح المشتركة دون تغليب أحدهما على الآخر في معركة المبادئ والتوجهات الفكرية بحيث يظل فتيل الصراع خامداً حتى وقت الحاجة.

ومن سمات هذه المرحلة.. أن ترفع الحصانة السياسية عن المجموعات الموجهة سابقاً لشق عصا الواقع الاجتماعي؛ ليصبح نشاطها ذاتياً تتبناه هذه المجموعات بعد ذَوبَانها في الواقع وتحولها إلى شريحة اجتماعية شعبية لا علاقة لها بالسلطة ولا بالقوى التي غرستها في الأمة.

## ٢) ترسيخ الهيمنة الاقتصادية والاحتلال:

وهي أساس رؤية (العولمة) أو ما يسمى بهدف الاستثمار العالمي، وقد تهيّأت هذه السياسة بإنجاح ( المصرفية الربوية المسيطرة على العالم كله ) ويقابلها تحريك العسكرية الضاربة لاحتلال مواقع الاشتعال والتطرف وكتم أنفاس ( القوى المصنعة سابقاً ) لاختراق مرحلة العلمنة وتهيئة جو العولمة وتهيئة قوى جديدة ( مع نزع سلاح الأنظمة والدول ) ليُفرض عليها مفهوم السلام السياسي وفق مرادات ( عصبة الشيطان العالمية ).

## ٣) الثورة المعلوماتية وإطلاق الحريات وإسقاط الحاكمية للقطب المثال :

وهي المصيبة والطامة الكبرى لدمار ( التركيبات الثقافية والتعليمية والتربوية والإعلامية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية الشرعية ) وخاصة في المجتمعات العربية والإسلامية التي تهيأت أجيالها الإعلامية لقبول هذا التغيير والتخدير خلال المرحلة السابقة بوسائط تسييس التعليم والإعلام والثقافة الجديدة المتمرحلة منذ عصر الاستعمار..

وبهذا الثلاثي الجديد ( ثلاثي العولمة ) يتم به الدخول إلى ما سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالفتنة الرابعة « **البكماء العمياء الصماء** » التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكافر.

إنّ تحليلنا هذا عن تمرحُل الأمَّة هو التَفسير الوَاعي لمراد الله تعــالى في شأن علامات الساعة.. وهو أيضاً مراد رسول الله صلى الله عليه وآلــه وسلم في تعليل ظواهرها وعلاماتها وأشراطها وفتنها.. وبهــذا التحليــل ينتظم عقد المرحلة الإسلامية العالمية أو ما يسمى (بعالمية الإسلام)..ويبرز الإسلام عملاق المراحل كلها والمهيمن بثوابته وشــريعته، واســتقرائه الشرعي لكافة شؤون الحياة الدينية والدنيوية.. ومن غــير افتيــات، ولا تجاوز ولا تطرف ولا مصادرة لآراء الآخرين.. هذا هو الإسلام الحق.. ولكنّ أين هم أهله ورجاله ؟؟

اللّهم اجعلنا من أهل هذا الدِّين ورجاله في الدُّنَيا بالعمــلِ الــصَالح والنصرة وفي الآخرة في مُستَقر الرحَمة.. ومراتب الدَرجات العُلى مــع الذين أنعمتَ عليهم من النبين والصَّديقين والشُّهداء والصَّالِحين وحَــسُنَ أولئكَ رَفِيقَاً.



# الفَصل المُتَعَمَّد بين التاريخ والديانات

تميزت وظيفة المدرسة الأنوية عبر التاريخ كلّه بالفصل الدائم بين العمليات المترابطة بين ( المدرسة الأبويّة الشرعيّة ) وتفكيك عُرى الأتصال فيما بين مجموعاتها المتداخلة.. تحت المبدأ العالمي للشيطان (**فَرّق تَسدْ** )..

والدين الإسلامي باعتباره الدعوة العالمية الأخيرة في تاريخ التطور البشري يدمغ الفصل المتعمد للعمليات الشرعية في مسيرة الإنسان؛ بل ويدينها ويعتبرها امتداد للفساد الأنوي في الخليقة، ويحذر (المتدينين بدين الإسلام) أن يقعوا في حبائل الشيطان وخطواته المؤدية إلى الفرقة والفشل والتنازع التي افسدت الأمم الأولى.. ويشيد الإسلام بالعقلاء والصلحاء الداعين إلى الاعتصام بحبل الله واجتماع الكلمة والعاملين إعادة اللحمة الشرعية للأمة.. سواء في ديانتها ومعاملاتها الشرعية أو في قراءتها للتاريخ عبر المراحل وتطور الأزمنة.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [1].

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ [2].

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الانفال: ٤٦.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إنّما يَأكلُ الذِئبُ من الغَنَم القَاصِيَة**»[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم: « **يَدُ اللهِ مَع الجَماعة**»[2].

والآيات والأحاديث في هذا الشأن تغلق باب الفتنة الأنوية التي قامت عبر التاريخ الإنساني على مسألة الفصل بين الثوابت كما تقدم ذكره.

ومن هذه الثوابت العلاقة بين ( التاريخ والديانة ) فالأديان السماوية تعتبر التاريخ الإنساني جزء من الديانة ومفسر لها.. بينما تعمل العصبة الأنوية على فصل تاريخ الديانات الشرعية عن العمليات التاريخية الإنسانية، ويضعون الديانات ومتعلقاها علم مستقل بذاته تنقطع علاقتهم به إلاّ من حيث كونه تفسيراً غيبياً فقط، ويقرؤون التاريخ الإنساني معزولاً عن الديانات لأنهم يرون أن قراءة التاريخ العلمي ترتكز على الملاحظة والإستقراء، واستنطاق المستحثات والآثار ودراسة تاريخ الأمم والحضارات المادية مستقلة عن الديانة ومفاهيمها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١١/١) والنسائي (١٠٦/٢) وأحمد في المسند (١٩٦/٥) من طريق زائدة بن قدامة، حدثني السائب بن حبش كليب الكلاعي، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: قال لي أبو الدرداء أين مسكنك؟ قال:قلت: في قرية دون حمص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: « **ما من ثلاثة في قرية لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب الغنم القاصية** » قال السائب: يعني بالجماعة .. الجماعة في الصلاة.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣١٦/٣).

إن المدرسة الأبوية الشرعية تنطلق في تحديد تاريخ الإنسانية بالكتب السماوية ومأثورات السنن النبوية وتعتبر المستحثات والآثار إحدى العبر ووسائل الدراسة العلمية فقط..

بينما تنطلق المدرسة الأنوية الأبليسية في قراءتها للتاريخ من ( تفسير العقل الإنساني للظواهر) ومن هنا جاء الفصل المتعمد بين (التاريخ والديانة).

وحتى لا يعتقد الكثير من الناس أن الإسلام لا يعترف بالعقل الإنساني وتفسيره نؤكد هنا أن الإسلام يعتبر تفسير العقل الإنساني للظواهر وتعليلها أحد فروع علوم الديانة وشرط من شروط المعرفة فيها؛ ولكن ليس بديلاً عنها.. بل إن الآيات الكثيرة في القرآن إنما تخاطب العقل الإنساني كي يستقرئ الظواهر ويفسر الحوادث ويلاحظ الآيات كجزء من وظيفة ( العقل البشري ) في الحياة للنظر في خلق الله..

ولأن الشيطان لا يعنيه أمر الربط بين الديانة والتاريخ بل يضره، ويضر توجه مدرسته الأنوية ويبطل عملياتها الفاسدة فنجده قد أصرَّ على (تقعيد الفصل المتعمد) وتحويله الى قاعدة علمية في حياة الإنسانية كي يضمن بقاء التفسير المادي للتاريخ وتطوره لمصلحة توجهه الأنوي ومن هذا التفسير المادي جاءت نظريات الكفر والإلحاد وهي النظريات العقلانية القائمة على الرفض الصريح للتفسير النبوي الشرعي للحياة ووجود الخليقة..

فخلق آدم، وعيسى، والملائكة، وتنـــزل الـــوحي، وعلـــم الغيـــب، والمعجزات، والكرامات، وتفسير الظواهر الكونية، والإيمان بـــالآخرة، وبالقدر، وبالقضاء، وما شابهها من المسائل الغيبية الـــشرعية لا يقبلـــها العقل الأنوي إلا بمقاييس وثوابت عقلانية محددة غير إيمانيـــة (أي غـــير غيبية) بينما يقر الدِّين الإسلامي الاستقراء العقلي والدراسة البحثية لهذه الظواهر والغيبيات؛ ولكن في إطار التصديق بوجود الخالق والتزام التحليل التاريخي للكتب السماوية الصحيحة فكلما ورد في كتب الله تعالى قاعدة شرعية لا تقبل النقض ولا التعديل ولكنها تقبـــل الدراســـة والمتابعـــة والملاحظة لفهم مدلولها ومعناها وما يتناسب في تطور الفهـــم والعقـــل والعلم..

ومن هنا برز التحدي الخطير بين العمليتين..

وقد سرى هذا التحدي إلى مناهج التعليم المعاصر وإلى مرقومات الثقافة والإعلام وخاصة في البلدان التـــي استفاد المستعمر مـــن اســـتعمارها واستثمارها وتسييس مناهجها..

لأن المستعمر من وجهة نظر المدرسة الأبوية هو نائـــب الفاعـــل عـــن (المدرسة الإبليسية) العالمية.. وهو المنفذ لمنهجيتها الأنوية..

ولتطهير المناهج الدراسية في عالمنا العربي والإسلامي من هذه الفهـــوم والوهوم الأنوية وما تفرع عنها خلال مراحل الاســـتعمار والاســـتهتار والاستثمار يجب إعادة (الدراسة الموضوعية) للعلاقة التاريخية بين الديانة

والتاريخ.. وتحرير العقل الإعلامي المعاصر من قواعد الانفصام المستثمر في عمليات التربية والتعليم والإعلام والثقافة ، بل ويجب اعتبار المصدرين الأساسيين (الكتاب والسنة) هما محور العدل في تمحيص المعلومات التاريخية وبناء مواقفنا العلمية والمعرفية أمام الأمم الأخرى وموقفنا من رموز الحضارة المعاصرة في شأن رفضها (لديانة الإسلام) إذ أن (العصبة الأنوية) تعمل الآن جاهدة على تغييب أثر (القرآن والسنة) في العلاقة التاريخية بين الإسلام والكفر عموماً ، وبين الإسلام واليهودية والنصرانية، وتضغط بالقوة أحياناً وبالسياسة أحياناً على (مؤسسات الدول العربية والإسلامية) الخاضعة للتسييس الأنوي طوعاً أو كرهاً لإضعاف معنويات طلاب المدارس والجامعات الحديثة أمام مرقومات القرآن والسنة ومواقفها من الكفار ومن مفاهيم الجهاد في سبيل الله ، وترغب هذه العصبة (علناً أمام العالم) أن تُعيد النظر في صياغة المناهج الشرعية وما يترتب عليها من مواقف ، وتنزع من (الأمم الإسلامية) عزتها وكرامتها بالدين بعد أن استطاعت إلصاق التهمة العالمية (الإرهاب) بكل ما يمت إلى الإسلام أو يعبر عنه..

إن الأذرعة المتحركة في العالمين العربي والإسلامي منذ سيطرتها على (موقع القرار) في الأمة تمكنت من تنفيذ كافة العمليات الاستراتيجية لاحتواء الإسلام وتفريغ عقول أتباعه في ثوابته ومقاصده العالمية ليتحول

إلى نموذج من نماذج الاستسلام والخنوع وتسييس الـــشعوب للمـــصالح الكافرة..

وبرغم استغراب الكثير من المسلمين منا شرح هـــذه الحالـــة.. إلا أن الوقائع تؤكد حصول هذه الانحرافات والإنجرافات مرحلة بعد أخرى منذ عهود سلفت. وأن مرحلتنا المعاصرة وما فيها من خلط وخبط وعشوائية إنما جاءت ثمرة من ثمرات التسلسل الأنوي في السيطرة على مقـــدرات الشعوب وامتلاك رقابها..

إن كثيراً من (حملة الأمانة العلمية) في العالمين العربي والإسلامي يسهمون في إطالة عمر هذا الانفصال بما تعلموه ودرسوه في مدارس العصر ومـــا ألفوه وما سمعوه من مشايخ النقض والقبض في كل شيء حـــتى شملـــت عمايات (الانحراف) غالبية النشء المخدوع من جهـــة وشملـــت خـــيم المعارف وسقوف التأصيل للمناهج والأطروحات الفكريـــة وصـــنعت سحب الضبابيات الكثيف حتى بين المسلمين أنفسهم ضد بعضهم البعض بحق وبغير حق..

كما أن المدرسة التقليدية (المدرسة الأبوية الشرعية) محلية وعالمية أيـــضاً منيت في تقلبات المراحل بنماذج من الضعف والجنوح إلى طرفي الإفـــراط والتفريط مما حدا بكثير من أتباع هذه المدارس التقليدية للتحرر عن ربقـــة المفاهيم الجامدة إلى البدائل الجديدة التي صُنّعت لإطالة مرحلـــة الأنويـــة وإخفاق الإنسان المسلم في كل الحالات..

لقد أسهم كثير من (أتباع المذهبية والتصوف وآل البيت) في عزل الأمة عن التاريخ الصحيح والتدين النقي بما استحدثوه في حياقم الفكرية مـــن أوضاع وتصرفات ومفاهيم وأساليب لم ترقَ عند ربطها بالحياة ومطالبها لدى الجيل المحتك بمطلب الحضارة وتطورات المعرفة إلى المستوى المناسب للتحولات والتطورات الجديدة؛ بل كان بعضها وسيلة من وسائل النقض والانتهاك (للتصوف بعمومه) وإدانة المدرسة بالجنوح والتجاوز عن الملّة الشرعية وخاصة فيما يتعلق بطرفي الإفراط والتفريط التي دنـــدن عليهـــا وعلى فروعها مدارس القبض والنقض.

ومع أننا ندرك مدى الإفراط الذي شغلت به مدرسة القبض والـــنقض في شأن تحجيم عيوب أهل الذوق إلا أننا لا نبريء ساحة بعض أتباع المدرسة الصوفية من الاغراق فيما لا حاجة للإسلام به. والمخرج الملائـــم للأمـــة بعمومها في (الربط المعرفي بين التاريخ والديانة).

إننا لا نلزم أنفسنا بالتوقف عند الإفراط أو التفريط أياً كان مصدره والمعبر عنه؛ بل يمكن استعادة الربط الواعي بين (التاريخ والديانة) بالنظر في القواسم المشتركة لدى كافة المناهج العلمية والفكرية في (أمة القـــرآن والسنة) وبهذا نتجاوز العلة التي وقع فيها الكثير من حملة الأقلام، وتسهم في تخفيف حدة التوتر التي غذقما المراحل المتقلبة والظروف المسيسة مـــع إدراكنا التام صعوبة هذا المطلب، وإباء المجموعات المنتمية إلى هذا التجزؤ مسألة التوافق على مسميات القواسم المشتركة؛ ولكن هذا لا يمنع مـــن

وضع مثل هذه الفكرة ولو لمستقبلٍ قادم والثواب منتظـــر مــــن المــــولى سبحانه وتعالى والنية صالحة لجمع كلمة الأمة على منهج جـــامع يـــسد الثغرة المفتعلة بين التاريخ والتدين.

إن منطلق القراءة الشرعية للربط الواعي بين الديانة كتنـــزيل شـــرعي وبين التاريخ كحياة ومجتمعات وإنسان وتجربة يجب أن يُفهم ويُفسر مـــن حيث كان المطلب الرباني في العباد، ومن ثم تتبين بعد ذلك سلامة التاريخ من الأنوية أو إغراقها في عللها بنسب وتفاوتات محددة فالكفر علّة أنويـــة ومخالفة صريحة لمراد الله وإذا ما رغبنا أن نتحدث عن أمة من الأمم يجـــب أن لا ننطلق من تحليلنا النظري لحياة تلك الأمة وإنسانيتها وتجربتها وتراثها وآثارها؛ بل يبدأ النظر إلى موقعها من (الديانة) أي من (قبولها أو رفضها) للرسالة الموجهة لها من عند الله ثم نحدد بقية تراثهـــا وآثارهـــا وتجربتـــها الإنسانية كعلم تاريخي متجه الى جانبين :

- **تراث وآثار وتجربة إنسانية كافرة أنوية وضعية.**
- **تراث وآثار وتجربة إنسانية مؤمنة أبوية شرعية.**

ومن هذا المنطلق أيضاً ننظر في تناولنا لمرحلـــة الإســـلام والأمـــة الإسلامية منذ بزوغ فجر الرسالة حتى عصرنا الراهن وما سيلحقها مـــن عصور لاحقه.

فنأخذ كل عصر بمقدار التزامه وارتباطه بثوابت الديانة والتـــدين في الحكم والعلم والتجربة الإنسانية فالمراحل والدول والأئمة والجماعـــات

والمذاهب.. الخ ذات المنطلق الأبوي الشرعي المجمع على سلامتها دونما خلاف يُقرأ تاريخها قراءة أبوية شرعية..

وكل مجموعة نطقت مرقومات الكتاب والسنة بفتنتها أو جنوحها أو انطبقت عليها صورة من صور (الإفراط والتفريط) يبحث في شأن صورة (اعتدالها) وقواسمها المشتركة مع غيرها من (مذاهب ومواقف) المدارس الإسلامية المعتدلة ويعترف لها بما فيها من قواسم الاعتدال والوسطية الشرعية ويفسر تاريخها وتدينها بهذه القواسم.

أما طرفا الإفراط أو التفريط فيها فيعالج كشذوذ الجماعة وكظاهرة سلبية في المرحلة أو المدرسة أو المذهب أو الجماعة ولا يعد سبباً في الفصل بين الديانة والتاريخ إلاَّ إذا كانت هذه الجماعة أو المذهب أو الفئة تأبى الرضوخ إلى ( مفهوم الاعتدال والقواسم المشتركة ) أو تصر على الجنوح أو تتبناه . فمن أبى.. فلا شكَّ أن هذه القاعدة العلمية التي نضعها تدينه في إفراطه أو تفريطه ليلحق بنماذج المدرسة الأنوية الإبليسية شاء أم أبى..

إن الإحراج الذي بلغت إليه حياتنا المعاصرة في شأن علاقة المسلم بالمسلم قد تجاوز الحد الأعلى و لم يعد لنا في (مرقومات المرحلة المتداولة ) ما يشير إلى تقارب واعٍ أو تفاهم مُجْدٍ ينشأ من خلاله تقارب خال عن التسييس؛ بل أن التسييس قد صار حاكماً للعلاقات بين المسلمين حتى داخل مجموعاتهم ومذاهبهم وطرقهم وربما تطرق الشك لدى ( عالم أمام

عالم مثله ) إذا رغب أحدهم في اجتماع كلمة أو توحيد رأي أو اتفاق على منهج معين لخدمة المجتمع الإسلامي بعمومه أو خدمة الطريقة ذاتها.. بينما يضطر الجميع أن يقبلوا خدمة المجتمع والطريقة، إذا احتضن النشاط أو العمل رمز من رموز القرار وحملته في مرحلة الغثاء والوهن.. والأدهى والأمر في مرحلتنا هذه أن يتبنى تقارب وجهات نظر المسلمين فيما بينهم ( عدوهم الأصلي في تاريخ الديانات ) ولسنا في شأن الإباء أو الرفض لاجتماع كلمة على أي صورة كانت، وإنما نحن بصدد ابتعاث الروح الإيمانية الميتة في المنتسبين إلى ملة الإسلام العالمية وخاصة رموز الأمة وعلمائها وحملة الأمانة الشرعية فيها كي نتدارك معاً خطورة التخاذل ونعمل معاً على مد خطوط التواصل ذاتياً ودون الحاجة لوصاية من الغير. فالغير في كل أحواله غير ولن يكون حريصاً على وحدة أمة هو يسعى لتفكيكها واستثمار فرقتها.. ولعل السياسة الاستثمارية الناجحة في ماضي المرحلة بالفرقة تهيىء ذات النجاح لاستثمار المرحلة الجديدة مع مشروع الكفر والاجتماع على نغمات الإيقاع الأنوي المسييس .



## الأبـــويّـــة الشرعيـــّة
## ومـوقعها من جمع أشتـات الأمـة

كان لابد للغة القرآن والسنة من أن توجِد مخارج جديدة تُـــسهم في رفع ثائرة النـــزاع المفتعل، وتضع الأمل في أمة مزقها الخلاف والجدل. وتشارك بفعالية في هذه (الأطروحات) المتنوعة التي تتسم حيناً بالعشوائية وحيناً بالعقلانية وحيناً بالتسييس والتحديس.. حيث تنطلـــق العقـــول المفكرة في مرحلتنا المعاصرة من (حيثيات الاستقراء للواقع وما يدور فيه) بل أن من ظواهر مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم تنـــاول الأحـــداث وتفسيرها من واقع رغبة الفاعلين لها والمستثمرين سلبها وإيجابها..

والقرآن والسنّة.. بالنسبة لمشروعية (نصوصهما) تكادان أن تتجاوزا كل نص ونظرية وفكرة وأطروحة لأنهما يحملان صفة العالمية المطلقة.. العالمية التي لا ترضخ للتسييس ولا المصادرة ولا للباطل من أي وجه.. ولهذا نجد لغة الأنوية العالمية التـــي يتبناها الشيطان وجنوده يعملون على إقصاء لغة الإسلام والقرآن، وإبعادها عن ميدان المعركة تماماً.. لأن نجاحهم ونجاح أطروحاتهم الإنسانية مبنية على تغييب لغة القرآن والسنة، وبغيابهما تكون الأطروحات الإنسانية متوازية التأثير متقاربة الفهم.. متقاسمة المصلحة..

وقد مضى على هذا المشروع الأنوي الفاعل مرحلة طويلة تلزمنا نحن في معركة الحياة أن نبحث عن لغة علمية فاعلة نستطيع من خلالها إحداث لون من ألوان التوازن الشرعي قبل أن نتحدث عن النجاح بثقة وأريحية .

وكانت الإجابة كامنة في تبين ( تحديث مفاهيم الأصلين ) وإعادة القراءة الواعية لمراد الله ورسوله في هذه الرسالة العظيمة فكان من ثمرات هذه القراءة النظر الى مفهوم (الأبوية الشرعية) وما يترتب على هذا المفهوم الجديد من فوائد وعوائد تسهم في الربط الواعي بين الأواخر والأوائل على ثوابت وقواعد جامعة لأشتات الرؤى والأفكار الإسلامية المتباينة..

إذ أن لفظة (الأبوية) مشتقة من مدلول القرآن الكريم الجامع لمفهوم التسلسل (الأبوي) الشرعي والراعي له.. ديناً وطيناً في مثل قوله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (١) وفي مثل حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام وهو ينتمي إلى سلسلة الأبوة الشرعية بقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ..﴾ (٢).

والقرآن مشحون بهذه المعاني الأبوية الواعية سواء من حيث ذكرها على أساس التسلسل العائلي المحمود أو على أساس التسلسل العلمي المعدود..

ويزداد الأمر وضوحاً وتبياناً في مفهوم الأبوية الشرعية إذا نظرنا إلى المراحل الإنسانية الأولى وبدء ظهور الأبوية الآدمية الموجهة بالوحي السماوي ذات المميزات الثلاث:

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) يوسف: ٣٨.

١. التسوية بيد الحق سبحانه.

٢. نفخ الروح.

٣. تعليم الأسماء.

وكانت هذه هي أصول الأبوية الشرعية في العالم الإنساني..

ويقابلها مجال الضدية (الأنوية الإبليسية) التي رفضت السجود لآدم وأبت الاعتراف بثلاثية التفضيل المشار اليها سلفاً، وألزمت نفسها تبني (الرؤية الأنوية) القائمة على التحدي المتمثل في الشعار الإبليسي ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ وطرح فكرة التمايز المادي للعناصر المتفاوته دون اعتبار للأمر الإلهي وما يضعه من خصوصيات في خلقه وهي ما تسمى في عصرنا بالعقلانية المجردة.. ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[1]..

فالعقلانية المجردة سياسة المدرسة الأنوية الابليسية في العالم وهي المسؤولة عن الانحراف التاريخي منذ عهد تحول (قابيل) عن المنهج (الأبوي الشرعي) إلى (المنهج الأنوي الإبليسي) وبها انتقلت المعركة من إبليس وآدم إلى (الآدمية ذاتها) تحت رعاية (الوسواس الخناس) رائد المدرسة الأنوية العالمية وتسلسل النشاط الأنوي الإبليسي على أيدي الكفرة الجاحدين عبر القرون ومن أصيب بداءهم وعلتهم ولو كان مسلماً ، كما تسلسل العلم الأبوي الشرعي على أيدي الأنبياء والعلماء السورات جيلاً بعد جيل حتى عهد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.. مجدّد المدرسة

---

(١) الإسراء: ٦١.

الأبوية وحامل رايتها العالمية الأخيرة في الحياة والقائم صلى الله عليه وسلم بالوحي السماوي أمام الإفك الأنوي وأكاذيبه وأضاليله حتى قيام الساعة..

وقد تبين بالاستقراء والملاحظة كيف سار المنهج الأنوي الشيطاني في طريق الانحراف والضلال مرافقاً عصر حياة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حتى عصرنا الراهن وإلى قيام الساعة.. متمثلاً في انحراف مدرسة النفاق المدرسة الحرقوصية، ومدرسة الإفك المسيلمية، ومدرسة أهل الكتاب، ومدرسة المشركين من قريش والأعراب وقد اتحدت هذه المدارس المنحرفة مع أساطين الكفر من كل عصر وتاريخ.. واحتضنوا (المنهج الأنوي الإبليسي) وأقاموا له الأسس والثوابت الوضعية ورعوه فلسفة وحكماً ودعوة، كما اعتنى المنهج الأبوي الشرعي بتفصيل ظاهرة الأنوية وأتباعها سواء في الخيمة الإسلامية ذاتها أو من خارجها وذلك بما أودعه صلى الله عليه وآله وسلم في علم علامات الساعة وأشراطها وفتنها.. وهذا العلم كفيل بكشف حقائق المدرسة الأنوية وإظهارها على حقيقتها.. وصورها الإبليسية.

إن المدرسة الأبوية بمنهجيتها الشرعية المسندة مدرسة تربوية تعليمية دعوية لا تفصل بين هذه العمليات في شتى منطلقاتها؛ بل تعتبرها أساساً لتنشئة الأجيال وثقافة رجال العلم والأعمال باعتبارها هوية الرسالة النبوية الأبوية

﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [1]
وفي هذه الآية إشارةٌ بينةٌ لصلة المدرسة وأتباعها بالعهد الدائم بدوام الحياة المعبر عنه في أهله، بقوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾[2] بينما تجنح المدرســة الأنوية وأتباعها عن هذه العهدية لتسلك مسلك التغيير والتبديل والتحول عن مسار العهد، ومحاولة كسر حواجز التشريع، وخرق حجـــاب الآداب والفصل بين العمليات الثلاث، وإفراغ محتوى الأصول وتسييس الفــروع والسير بالعمليات الثلاث نحو خدمة (الشيطان، الكفر، الــدجال) لتنـــشأ الأجيال الإنسانية ناقضة لعهود ربها مخالفة لشرعة نبيها قال تعالى عن هذه المدرسة الجانحة.. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[3] وأكبر شاهد على تأثر المسلمين في أوطانهم بهذه المنهجية الخطيرة تغييب التربية والدعوة إلى الله من مـــدارس التعلـــيم المعاصر كلها، من ألِفها إلى يائها بُعيد ارتباطهم بالمنهج التعليمي الأوروبي الغربي، وإيقاف العمل بالمنهج الإسلامي المتـــوارث في العـــالمين العـــربي

(١) إبراهيم: ٢٤- ٢٥.

(٢) الأحزاب :٢٣.

(٣) الرعد: ٢٥-٢٦

والإسلامي.. وقد تطورت هذه الصلة.. مرحلة بعد مرحلة حتى انفصلت العمليات التقليدية عن المدرسة الحديثة كليّاً... وانصبت أساليب التعليم على الطريقة الحديثة.. حتى في أسلوب الكتابة والتلقين الأولي للطلاب. فضلاً عما فوق ذلك.

والقرآن لغة مدرستنا الأبوية الشرعية.. يضع العمليات الأساسية لبناء المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ كلّه وِفْقَ المحاور الثلاثة.. الكتاب، الحُكم، النبوة..

وكأني بمفهوم النبوّة يتَسِع ليضع الأخلاق الإسلامية المرتبطة بالذوات معادلاً للأصلين الكتاب والحكم -أي القرآن والسنة- بالنسبة لأمة الإسلام، لأن (أخلاق النبوة) حجبت عن الرعايا العذاب وعاشوا بمأمن من سخط الله وتعجيل عذابه.. خلافاً للأنبياء الذين مارسوا مع قومهم حق الدعاء بالهلاك.. فكل الأنبياء أُولو مقامٍ عظيم في الإقتداء والاهتداء؛ لكن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نال بالأخلاق والصبر مرتبة عليا.. صار بها مميزاً ومتميزاً في ديوان الأنبياء والرسل.. حتى صار من الديانة الشرعية العالمية أن أخذ الله العهد على سابق الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوا زمانه وفيه ملحظ هام لأمم اليهود والنصارى ومن نحى نحوهم، أن ديانة الإسلام الأخيرة وارثة للديانات، وأن عليهم الانطواء في هذه الرسالة والإيمان بصاحبها مع الإيمان بشرائعها وكونهم - أي أمم اليهود والنصارى- كما هو حال بعضهم الآن يؤمنون برسالة

موسى وعيسى انتساباً وليس سلوكاً بالشريعة ولا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم فهذه علة لا يكتمل بها سلامة التدين، وإن التزم نصوص الأنبياء، أو أخذ منها.. أو حتى لو آمن وصدق بسلامة القوانين الإسلامية كنظرية صالحة للتطبيق، كما هو لدى بعض الغربيين اليوم الذين أخذوا من نصوص الديانة الإسلامية جملة من القوانين لِما وجدوه فيها من ضوابط إنسانية تفوق ما أنتجته قرائحهم فاستفادوا منها.. ولكنهم لا يلقون بالاً لمفهوم الرسالة كدين ولا لمعنى القدوة الحسنة بصاحبها عليه الصلاة والسلام..

وهذا نموذج من الفصل بين (النصوص الشرعية وبين مقاصدها الإيمانية) والشريعة الإسلامية لا تقبل الفصل ولا المصادرة ولا الاحتواء..

وقد سرت هذه العلة كمعنى من معاني ( استتباع سنن الأمم ) في قوله صلى الله عليه وسلم: « **لتتبعنّ سَنَن من كان قَبلكم..** » إلى أمة الإسلام ذاتها فتأثرت بالثقافات القائمة على الإنفصام والتجزئة والإنتقاء ففصلت بين (الكتاب والحكمة) وبين المعادل الثالث (النبوّة) وظن الكثير من حملة القرار العلمي أن هذا عين المعنى المقصود بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **كتابُ الله وسُنّتِي** » بينما حقيقة المقصود يأتي على ثلاثة مباني:

| **كتاب الله** | **وسنة نبيه** | **والأخلاق** |
|---|---|---|

أوكتاب الله وسنة نبيه والعترة ( كمعادل للذات النبوية ) عند اجتماع الشروط.

والعترة في هذا المعنى إشارة إلى مدرسة (آل البيت) العالمية التي لا تمت إلى ( الإفراط ولا التفريط) وإنما هي مدرسة النبوة ذاتها.. وماجنح منها عن معنى (النبوة) فموكول إلى طرف الجنوح الذي نحى إليه أو إرتبط به.. ولهذا نجد هذه (المدرسة النبوية) قد جعلت مثالاً لكل الأنبياء عليهم السلام. لو أدركوها.. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾[1].. فالإيمان المطلوب إيمان بذاته... ثم نصره صلى الله عليه وآله وسلم فيما يذهب إليه.. وهو صلى الله عليه وآله وسلم لن يذهب إلاّ لما هم عليه من أمر التوحيد والديانة التي جاء بها الأنبياء لأنها من وظائفه ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾، قال تعالى: مشير إلى اجتماع الشروط الثلاثة (الكتاب ،الحكم ، النبوة): ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2].

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) آل عمران : ٧٩-٨١.

## هل التشخيص علّة أم الرِّضى بالعِلل فضيلة ؟؟

كلنا اليوم نتكلم عن الإسلام ونتكلم بالإسلام وندعي أيضا أنّا ندافع عن الإسلام ..(والإسلام ذاته) صار في مجتمعاتنا إحدى لبانات المضغ التي تملأ فراغ المجالس والمنتديات والإذاعات وأجهزة البث الإعلامي المصور والمسموع لمن يحسن الحديث ومن لا يحسنه، فالإسلام صار شغل المرحلة من حيثيات أهمية مواضيعه وأُطروحاته ولا تخلو هذه المقالات وحزم الأفكار والتعليلات من فائدة وجدوى من حيث هي في محدود ثقافة مرحلتنا، وعندما نقول (الإسلام ذاته) نقصد أننا عندما نتحدث أو نناقش أو نحلل ونعلل أي شيء عن هذا الدين وما جاء به فإننا نصبغه صبغة تأسر الإسلام وتقولبه وفق ما نراه من وجهة نظرنا المعاصرة.. فنعطي الإسلام غير موقعه ونتناوله في واقعنا من حيث ما نحن فيه، لا من حيث ما يجب أن نكون عليه..

إننا جميعا وبلا إستثناء نحتكر المفهوم الإسلامي لصالح المرحلة التي ندير مصالحها.. ونقف متربعين على عرش التحكيم. لنقول: ( هذا هو الإسلام) ونحن نمثله ونفهمه ونطبقه وقد نكون في هذا الفهم معذورون إلى حد ما لأننا هكذا عرفنا الإسلام في مدارسنا وحياتنا وتربيتنا وتعليمنا.. فما الذي فقدناه إذن ؟

والجواب مُر .. ومرارته أن الحق ينطلق من غير واقعنا المألوف في تفسيرنا للإسلام ذاته.. والجواب يكمن في كوننا نفتقر إلى مقياس التمرحل الشرعي الذي يبرز مدى ثوابت الإلتزام لدينا من جهة، ويبرز

أيضاً مستوى الجرأة على الدعوى فينا وما قد بلغنا إليه من إحساسنا الجاهل أننا على كمال الإرتباط بهذا الإسلام وأننا فعلاً أهله وذووه، وهذه علّة مستحكمة وقد تحولت من وجهة نظر الزمان إلى فضيلة نباهي بها العالم ، ولا ندري أننا في عين الذّل والعلّة .. نحن نخاطب العالم بالإسلام ، ولغة الإسلام قد فرغت من دخل عقولنا وسلوكنا وحياتنا..

والعالم يخاطبنا بلغة الثقافة الثالثة بالعلم النظري والتطبيقي المجرد عن العاطفة والغيبيات، وأصعب من هذه العلة.. تشخيصها.. وليس علاجها..

إذن فنحن في عصر يتحدث بلغة لا نفهمها.. ونخاطبه بلغة لها يدرك منها عبر النبرات والأصوات .. والمتحدثون هنا عن الديانة والتدين يجتهدون في إبلاغ المعرفة إلى الأجيال مفرغة عن محتواها.. وإنما تصل إليهم مترجمة بلهجات ثقافات العصر لا بلغة القرآن..

والناطقون بهذه اللهجات هم أولئك الذين يبحثون عن مستوى الرضا من أشباههم وأمثالهم لدى تفسيرهم لإسلامية الواقع وصلاحية مبانيه.. وهم أيضاً الحائرون من لهجات العنف والتطرف باسم الإسلام.. فالإسلام في كلا الحالتين.. يعيش أزمة..

والواقع المعاش يبرزخ العقول والقلوب والألسنة في أحد طرفي الصراع.. إما :

١) الإسلام المترجم بلهجات التمرحل.. والإعلام..

٢) الإسلام الانفعالي الحركي المجتث. (المعبر عنه بالتطرف والإرهاب).

والراعون (للتمرحل) يهمهم كثيراً أن تظل حياة الأمة على هذا النمط الغثائي؛ لأن فيها مطلب الشيطان وأعوانه؛ بل هي ثمرة من ثمرات تسييسه للواقع المبرمج للتاريخ الإنساني كله..

وإذا ما أردنا ولو لمجرد التجربة أن نسأل أنفسنا عن مجرد الإقتناع بهذه الحقيقة المطروحة.. فهل نقتنع أو حتى أن نشرع في تفهم أسباب الإقتناع.. أم لا ؟

إن معاناة الأمة في ( مجتمعاهّا المعاصرة ) قائمة على :

١) مواجهة الضغط العالمي المهيمن على كل شؤون القرار والحركة.

٢) الصراعات الداخلية الناشئة عن التمرحلات الغثائية داخل الأوطان..

وكلا الحالتين بدأت ( بنقطة صفر ) وتراكمت حتى بلغت الذروة وانفجرت إحباطاً وحيرة وآلاماً وضبابية ، وفي غمرة الإحباط والحيرة والآلام والضبابية يتحرك المشفقون بطبعهم على سلامة الأمة يتحسسون مكامن النجاة ومخارج السلامة ينظرون في المحيط وحدوده فلعل وعسى..



# الخاتمة ..

كانت هذه أهم قضايا المعاصرة التي نحتاج إليها في شأن الملاحظة على مدلولات إحياء لغة القرآن العالمية..

والإحياء هنا من وجهة نظرنا لا يعني تغيير ما قد سبق إثباته من تفسير أو استنباط أو تقرير لدى الأمة، فالملاحظ خلال نقاشنا مع بعض علماء المرحلة أنهم يعتقدون أننا نشجع على فتح باب التأويل للقرآن على غير ما فسر أو ما قرره علماء الإسلام.. أو يخافون من هذا الباب أن يفتح.. فلهذا يرغبون في سد الذريعة من أساسها، وهذا يعني أن لغة القرآن هي اللغة التي كتبها السابقون على كتبهم ومؤلفاتهم ولا غير ، بينما ( حقيقة الأمر ) أن لغة القرآن التي نحن بصددها غير لغة الاستنباط الشرعي التي توقفت عندها الأفهام ووجب علينا أمامها الإلتزام، فالأحكام الشرعية والأصول الحكمية علم لا يجوز تسور جداره ولا خوض ثماره إلاَّ لأهله. وإن كان الزمان قد أبرز لنا من يخالف هذا الإلتزام.. وأمره إلى الله..

وأما مسألة الفهم للمعاني باعتبار تجديد لغة الحوار ومخاطبة الوجه الآخر، بما يحتمله المدلول اللغوي ولا يتجاوز التفسير الشرعي فأمر لا يقف عند مستوى الحجز المعرفي لدى البعض. ولو من بعض الوجوه.. فقد ثبت أن سيدنا أبا بكر الصديق سُئل عن قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾[1]، فقال: (البر هو اللسان، والبحر هو القلب).

وفي تاريخ الأمة علماء كالإمام القشيري رضي الله عنه من خاض بحر المفاهيم القرآنية فاستخلص تفسيراً إشارياً لكتاب الله تعالى سماه (لطائف الإشارات) وهو بهذا لم يعطل معنى من معاني التنزيل أو أسباب نزول الآيات؛ بل أبرز سعة المدلول القرآني لدى أهل الذوق عند اجتماع شروط المعرفة..

وقد اعتقد بعضهم أن إطلاق هذه الأبواب للمفكرين والباحثين سيجعل حرمة القرآن مهانة ومخترقة.. حيث استدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[2] وإن السلامة في إتباع ما قد فرغ منه الأوائل في شتى الأمور.. ولا جديد.. والمعتقد والله اعلم أن الآية تشير إلى (مخالفة النصوص وليس إلى فهم ما تشير إليه من المعاني)[3] فالذين نسميهم المؤمنين من رجال العلم والمذاهب قد اختلفت فهومهم للنصوص حسب قدرات استنباطهم وفهمهم وإلاَّ كان لزاماً على الإمام مالك ألاّ يخالف الإمام أبي حنيفة

(١) الروم: ٤١.

(٢) النساء: ١١٥.

(٣) أي أن سبيل المؤمنين فيما جمعهم الاختلاف المشروع.

والإمام الشافعي لا يخالف الإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل لا يخالف رأي الشافعي..

بل لا ينبغي للإمام النووي والرافعي أن يخالفا إمام مذهبهما الشافعي في المذهب، وهذه استدلالات على اختلاف في الشريعة وليس في الفهم الذوقي للآيات..

وإذا قيل أن هؤلاء علماء أجمع الأمة على سلامة توجيههم وعلمهم.. ونحن في عصر يختلف عن عصرهم وزمانهم.. فالإجابة العادلة.. أننا نؤكد في مسألة ما رفع منه من الاستدلالات في العلم الشرعي.. أما في فهم كتاب الله.. فالباب لم ينغلق على المسلمين.. ما دام الفهم لا يخالف العقل ولا المفهوم اللغوي.. وإنما ربما جاء بجديد معنىً لم يصل إليه السابقون، أو أوضح مسألة تجاوز ما أفصح عنها المتقدمون.. فهذا كما نعتقد لا يخالف الديانة ولا يدخل تحت معنى سياق الآية المستدل بها على المنع والتوقيف.. حيث أن الذي نحن بصدده لا يخرج القرآن عما أُنزل من أجله، ولا يشرع للأمة غير ما قد ثبت قوله وفعله ونقله..

ونَسأل الله تعالى أن يلهمنا الصّواب، ويمنحنا الثواب، ويجنبنا مسببات الهلاك والعقاب.. في الدُّنيا ويوم الحساب.. وهو حَسبُنَا ونِعم الوكيل نِعم المَولى ونِعم النصير .



# فَهْرس المحتويات


المطلع القرآني ٩

شاهد الحال ١١

الإهداء ١٣

المقدمة ١٥

الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي و الحلقة المفرغة التي يجب الخروج منها . ٢٥

تأصيل البدائل ٣٠

تحديث الوسائل ٣٥

مبدأ تأصيل البدائل وتحديث الوسائل وأهميته المعاصرة ٤٠

القدوة الحسنة ٤٢

عالمية القرآن والسنة ٤٥

المدرسة الأبوية الشرعية والمدرسة الأنوية الوضعية ٥٢

فقه التحولات وسنن المواقف ٦٣

المعادل الثالث في أصول الدعوة ونشر الإسلام (الأخلاق النبوية ) ٧٠

مبدأ القواسم المشتركة بين أمة الإسلام ٧٣

المثلث المدموج ودوره في بناء جيل الوسطية والاعتدال ٨١

أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ٨٦

الوقاية خير من العلاج ٩١

| | |
|---|---|
| قبض العلم وقبض العلماء واتخاذ الرؤوس الجهال | ٩٤ |
| بعثت أنا والساعة كهاتين زمانا ومكانا | ٩٨ |
| ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) نموذج القراءة الحضارية | ١٠٢ |
| من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد | ١٠٩ |
| بنو إسرائيل بين عطاء الله وجحودهم | ١١٢ |
| الثلاثي المذموم والثلاثي المدعوم | ١٣٥ |
| الفصل المتعمد بين التاريخ والديانات | ١٤٠ |
| الأبوية الشرعية وموقعها من جمع أشتات الأمة | ١٥٠ |
| هل التشخيص علة أم الرضى بالعلل فضيلة ؟ | ١٥٨ |
| الخاتمة | ١٦١ |

# من آثار المؤلف

## سلسلة (( أعلام حضرموت واليمن ))

١. الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى ( ت ٣٤٥ ) .
٢. الإمام عبيد الله بن أحمد ( ت ٣٨٣ ) وأولاده الثلاثة : بصري وعلوي وجديد .
٣. الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ( ت ٦٥٣ ) .
٤. الشيخ سعيد العمودي ( ت ٦٧١ ).
٥. الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع ( ت ١٠٠٦ ) .
٦. رابعة حضرموت : الشيخة سلطانة بنت علي الزُّبيبدية ( ت ٨٤٣ ) .
٧. الشيخ معروف باجمال ( ت ٩٦٩ ) .
٨. الإمام محمد صاحب مرباط ( ت ٥٥٦ ) .
٩. الإمام محمد بن علي باعلوي (( مولى الدويلة )) ( ت ٦٦٥ ) .
١٠. الشيخ عبدالله باعلوي ( ت ٧٣١ ) .
١١. جلاء الهم والحزن في ترجمة الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس صاحب عدن ( ت ٩١٤ ) .
١٢. بنو جديد : فئة اجتماعية وسلالة مباركة من (( آل البيت النبوي )) من ذرية المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى عاشت بحضرموت وانقرضت في أوائل القرن السابع .

## سلسلة (( منهجنا ))

١٣. تقليب الأرض الخاشعة ، في الذب عن منهج الفئة الطائعة ( ١ )

١٤. شروط الاتصاف ، لمن يريد المطالعة في كتب الأسلاف ، كالمشرع و الغرر والترياق والجوهر الشفاف (٢)

١٥. التنصيص المثبوت ، لإبراز المواقف العالمية في منهج آل البيت بحضرموت (٣)

١٦. المناصرة والمؤازرة ، لكافة منسوبي مدارس آل البيت النبوي في المرحلة المعاصرة (٤).

١٧. الأبنية الفكرية ، الجامعة لثوابت الطريقة العلوية الحسينية ، المتفرعة من حضرموت إلى مجموع البلاد الإسلامية (٥).

١٨. الأطروحة : وجهة نظر تحليلة ، لمحو الأمية الدينية ، المطبقة على الواقع الإعلامي المعاصر (٦).

١٩. الأفق الضيق : خلاصة مفيدة ، لمناقشات هادفة ، مع العديد من شباب وشيوخ مرحلة الغُثاء والوهن .

٢٠. رسائل الإفصاح ، عن شر ما تأتي به الرياح : متابعة وملاحقة لدعاوي علماء الفتنة ، وعسكر النقض للعرى في بلاد الإسلام .

٢١. الاستشراق والتنوير، تضافر مبهم في مرحلة الغثاء نحو هدف مشترك.

٢٢. الإيضاح والإشارة لما أصاب الأمة من هزائم السقف المنهارة.

٢٣. الإحاطة والاحتياط من شبه الوقوع فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم عند قرب الساعة من العلامات والأشراط.

٢٤. كشف الأقنعة عن الوجوه الغثائية المقنعة .

٢٥. بين يدي الدجال.

٢٦. آل البيت ، فئة ممدوحة بالألسن والأقلام، مبغوضة في المعاملات والأحكام.

٢٧. الرموز والأصابع : مقارنة تاريخية بين قرامطة الأمس وقراصنة اليوم .

٢٨. إيضاح المعالم ، فيما اشتبه فيه الفهم على ابن العالم.

٢٩. مستجدات فقه الدعوة المعاصرة .

## في الشريعة :

٣٠. رسائل حضرموت (١) : بواعث الخوقلة فيما أثاره القائلون ببدعة الجهر بالبسملة .

٣١. رسائل حضرموت (٢) : الموجز اللطيف في الخلاف في كفاءة النسب الشريف .

٣٢. دليل التائه الحيران ، فيما ورد عن ليلة النصف من شعبان .

٣٣. تفنيد الأقوال ، فيما يصل إلى الأموات من ثواب الأعمال ، وما اختلف فيه العلماء من متعلقات الواجب والمندوب عند حضور الآجال .

## في فقه الدعوة :

٣٤. فقه الدعوة في المرحلة المعاصرة .

٣٥. فقه الدعوة للمرآة المسلمة .

٣٦. رسالة لشباب وبنات المسلمين ورعاة الناشئين .

٣٧. مجموع الخطب المنبرية .

## في الفكر :

٣٨. الإحاطة والاحتياط من شبه الوقوع فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم عند قرب الساعة من العلامات والأشراط.
٣٩. كشف الأقنعة عن الوجوه الغثائية المقنعة .
٤٠. بين يدي الدجال .
٤١. الرموز والأصابع : مقارنة تاريخية بين قرامطة الأمس وقراصنة اليوم .
٤٢. رجال المنابر والمقامات أشد الناس حاجة للأخلاق .
٤٣. المنظومة الكاشفة .
٤٤. الزوبعة العاصفة شرح المنظومة الكاشفة .
٤٥. منظومة فقه التحولات وسنة المواقف .
٤٦. التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف .

## في الأدب :

٤٧. فيض الذكريات : وهو قسمان :
٤٨. الحفر على جدار الذاكرة الحمراء أو (( رحلة الحياة بين الواقع والقواقع )) .
٤٩. الخروج من الدائرة الحمراء : قصة هروب ذاتية من عدن إلى الحديدة ومن الحديدة إلى الحجاز .
٥٠. استدعاءات ذهنية قصيرة (١) : مدينة الفحارير .
٥١. استدعاءات ذهنية قصيرة (٢) : رحلة وسمر من عدن إلى أحور.
٥٢. سياحة في ديوان الإمام الحداد .

٥٣. المورد العذب (( ديوان شعر )) .

٥٤. بكاء القلم (( ديوان شعر )) .

٥٥. السباعيات (( ديوان شعر )) .

٥٦. نفثات من الشعر الحديث (( ديوان شعر )) .

٥٧. ديوان للقصائد المتفرقة .

٥٨. دراسة عن الشاعر أبو نواس (( بحث جامعي )) .

٥٩. دراسة عن الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه (( بحث جامعي ))

٦٠. مقارنة بين الشاعرين أبي نواس والعتاهية (( بحث جامعي )) .

٦١. دراسة لديوان الإمام الحداد .

## في التاريخ :

٦٢. جلاء الخاطر في ربط سند الأوائل بالأواخر (( إجازة ووصية))

٦٣. الثبت المعمور لآل المشهور .

٦٤. هولاء قدوتنا : مجموع كبير احتوى تراجم رجال العلم والعمـــل في وادي حضرموت ، وهو أصل (( سلسلة أعلام حضرموت واليمن )) .

٦٥. الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور أو (( العوالق في التاريخ )) .

٦٦. لوامع النور : نخبة من أعلام حضرموت من خلال ترجمة حياة السيد علوي بن عبدالرحمن المشهور ( ت ١٣٤١ ) ، جزءان مطبوعان ، والجز الثالث – تحت الطباعة – في ترجمة الجد العلامة السيد أبي بكر بن علوي المشهور ( ت ١٣٦٣ ) .

٦٧. قبسات النور في إيضاح حياة سيدي الوالد الداعي إلى الله الحبيب علي بن أبي بكر المشهور ( ت ١٤٠٢ ) .

٦٨. جني القطاف في ترجمة الحبيب عبدالقادر السقاف .

٦٩. رشف السُّلاف في فوائد ودروس وكلام الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف .

٧٠. تحقيق كتاب (( الجوهر الشفاف )) للخطيب .

٧١. السحابة المطيرة في ذكر حياة الشيخ الخفيف الحاذّ الذي لا مال له ولا ولد الشيخ محمد بن يسلم بن عوض باخبيرة .

٧٢. ندى الأزهار في ترجمة الحبيب عبدالله بن حامد البار .

٧٣. البرهان الأشمل في مشاهدات السيد أحمد الأهدل .

## في السلوك :

٧٤. بركات المجالس .

٧٥. اللطائف في أدب (( العوارف )) .

٧٦. مجموع في اختيارات عمل السلف .

٧٧. سياحة نفسية في رسائل الإمام الغزالي : (( كيمياء السعادة )) ، (( والرسالة اللدنية )) ، و (( المنقذ من الظلال )) .

٧٨. شرح (( بداية الهداية )) للإمام الغزالي .

## كتبٌ أخرى :

٧٩. الفنجان في بيان عجائب الإنسان والجان .

٨٠. الكنز العجيب في أخبار المجاذيب .

٨١. دليل الطاعة قدر الاستطاعة.

٨٢. قطر الخزامى والبشام في رحلتي إلى حاضرتي الأردن الهاشمية ودمشق الشام .

## آثار أخرى :

مجموعة كبيرة من المحاضرات والندوات الصوتية والمرئية المتضمنة المواضيع السلوكية والشرعية ومعالجاته لقضايا المرحلة المعاصرة .

